بسم الله الرحمن الرحيم

(٥٢١)
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة

ذكر ولاية الشهيد أتابك زنكي شحنكيّة العراق

في هذه السنة، في ربيع الآخر، أسند السلطان محمود شحنكيّة العراق إلى عماد الدين زنكي بن آقسنقر.

وكان سبب ذلك: أنّ عماد الدين لمّا أصعد من واسط في التجمّل والجمع الذي ذكرناه، وقام في حِفْظ واسط والبصرة وتلك النواحي القيام الذي عجز غيره عنه، عظُم في صدر السلطان وصدور أمرائه، فلمّا عزم السلطان على المسير عن بغداذ نظر فيمن يصلُح أن يلي شِحنكيّة العراق ويأمن معه من الخليفة، فاعتبر أمراءه، وأعيان دولته، فلم ير فيهم من يقوم في هذا الأمر مقام عماد الدين، فاستشار في ذلك، فكلٌّ أشار به، وقالوا: لا نقدر على رقع هذا[١] الخرْق، وإعادة ناموس هذه الولاية، لا تَقْوى نفس أحدٍ على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكي. فوافق ما عنده، فأسند إليه الولاية وفوّضها [إليه]، مُضافة[٢] إلى ما له من الأقطاع، وسار عن بغداذ وقد اطمأنّ قلبه من جهة العراق، فكان الأمر كما ظنّ[٣].

ذكر عَود السلطان عن بغداذ ووزارة أنوشروان بن خالد

في هذه السنة، في عاشر ربيع الآخر، سار السلطان محمود عن بغداذ[٤]، بعد

---

(١) في الأوربية «بهذا».

(٢) في الأوربية «مضافاً».

(٣) المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٨، المنتظم ١٠/٥ (١٧/٢٤٤)، ذيل تاريخ دمشق ٢٧٨، العبر ٤/٤٩، تاريخ الإسلام (٥٢١ هـ.) ص٧، مرآة الجنان ٣/٢٢٧.

(٤) المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٨.

تقرير القواعد بها، ولمّا عزم على المسير حمل إليه الخليفة الخلع، والدوابّ الكثيرة، فقبِل ذلك جميعه وسار.

ولمّا أبعد عن بغداذ قبض على وزيره أبي القاسم عليّ بن القاسم الأنساباذيّ في رجب، لأنّه اتّهمه بممالأة المسترشد بالله لقيامه في أمره وإتمام الصُّلح مقاماً ظهر أثره، فسعى به أعداؤه، فلمّا قبض عليه أرسل السلطان إلى بغداذ فأحضر شرف الدين أنوشِروان بن خالد، وكان مُقيماً بها، فلمّا علم بذلك جاءته الهدايا من كلّ أحد، حتّى من الخليفة، وسار عن بغداذ خامس شعبان، فوصل إلى السلطان، وهو بأصبهان، فخلع عليه خِلع الوزارة، وبقي فيها نحو عشرة أشهر، ثم استعفى منها[1]، وعزل نفسه، وعاد إلى بغداذ في شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة[2].

وأمّا الوزير أبو القاسم فإنّه بقي مقبوضاً إلى أن خرج السلطان سنجَر إلى الريّ سنة اثنتين وعشرين، فأخرجه من الحبس في ذي الحجّة، وأعاده إلى وزارة السلطان محمود، وهي الوزارة الثانية.

ذكر وفاة عزّالدين بن البُرسقيّ وولاية عماد الدين زنكي الموصل وأعمالها

في هذه السنة تُوُفّي عزّالدين بن البُرْسُقيّ، وهو صاحب الموصِل، وكان موته بمدينة الرَّحبْة، وسبب مسيره إليها: أنّه لمّا استقامت أموره في ولايته، وراسل السلطان محموداً[3]، وخطب له ولاية ما كان أبوه يتولاّه من الموصل وغيرها، أجاب السلطان إلى ما طلب، فرتّب الأمور وقرّرها، فكثُر جُنْده، وكان شجاعاً، شهماً، فطمع في التغلّب على بلاد الشام، فجمع عساكره وسار إلى الشام يريد قصد دمشق، فابتدأ بالرَّحبة، فوصل إليها ونازلها، وقام يحاصرها، فأخذه مرض حادٌّ وهو محاصر لها، فتسلّم القلعة ومات بعد ساعة، فندم من بها على تسليمها إليه.

ولمّا مات بقي مطروحاً على بساط لم يُدْفن، وتفرّق عنه عسكره. ونهب بعضهم

---

(١) في الأوربية: «فيها».

(٢) المنتظم ١٠/ ٥ (١٧/ ٢٤٤)، تاريخ حلب ٣٧٧ (٤٢)، الكامل في التاريخ ١٠/ ٦٤٢، تاريخ دولة آل سلجوق ١٤٠ الفخري ٣٠٦، ٣٠٧، تاريخ الإسلام (٥٢١ هـ.) ص٧.

(٣) في الأوربية: «محمود».

بعضاً، فشُغلوا عنه، ثم دُفن بعد ذلك، وقام بعده أخٌ له صغير. واستولى على البلاد مملوكٌ للبرسَقيّ يُعرف بالجاولي، ودبّر أمر الصبيّ، وأرسل إلى السلطان يطلب أن يقرّر البلاد على ولد البرسقيّ، وبذل الأموال الكثيرة على ذلك.

وكان الرسول في هذا الأمر القاضي بهاء الدين أبو الحسن عليُّ بن القاسم الشهرزُوريُّ، وصلاح الدين محمّد أمير حاجب البرسقيّ، فحضرا دركاه السلطان ليخاطبا في ذلك، وكانا يخافان جاولي، ولا يرضيان بطاعته والتصرّف بما يحكم به، فاجتمع صلاح الدين، ونصير الدين جقر الذي صار نائباً عن أتابَك عماد الدين بالموصل، وكان بينهما مصاهرة، وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه، وأفشى إليه سرَّه، فخوّفه نصير الدين من جاولي، وقبّح عنده طاعته، وقرّر في نفسه أنّه إنّما أبقاه وأمثاله لحاجته إليهم، ومتى أُجيب إلى مطلوبه لا يبقي على أحدٍ منهم.

وتحدث معه في المخاطبة في ولاية عمادالدين زنكي، وضمن له الولايات والأقطاع الكثيرة، وكذلك للقاضي بهاء الدين الشهرزوريّ، فأجابه إلى ذلك، وأحضره معه عند القاضي بهاء الدين، وخاطباه في هذا الأمر، وضمنا[1] له كلّ ما أراده فوافقهما[2] على ما طلبا، وركب هو وصلاح الدين إلى دار الوزير، وهو حينئذٍ شَرَف الدين أنوشِروان بن خالد، وقالا له: قد علمتَ أنت والسلطان أن ديار الجزيرة والشام قد تمكّن الفرنج منها[3]، وقويت شوكتهم بها، فاستولوا على أكثرها، وقد أصبحَتْ ولايتهم من حدود مارِدين إلى عريش مصر، ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين، وقد كان البرسقيّ مع شجاعته، وتجريبه، وانقياد العساكر إليه، يكفّ بعض عاديتهم وشرّهم، فمُذ قُتل إزداد طمعهم، وهذا ولده طفلٌ صغيرٌ، ولا بدّ للبلاد من رجلٍ شهْمٍ، شجاع، ذي رأي، وتجربة، يذبّ عنها ويحفظها ويحمي حوزتها، وقد أنهيْنا الحال لئلاّ يجري خللٌ، أو وهنٌ على الإسلام والمسلمين، فيختصّ اللوم بنا، ويقال: ألا[4] أنهيتم إلينا جليّة الحال؟

فرفع الوزير قولهما إلى السلطان، فاستحسنه، وشكرهما عليه، وأحضرهما،

---

(١) في الأوربية: «وضمن».
(٢) في الأوربية: «فوافقها».
(٣) في الأوربية: «منه».
(٤) في الأوربية: «لا».

واستشارهما فيمن يصلح للولاية[1]. فذكرا[2] جماعة منهم عماد الدين زنكي، وبذلا عنه، تقرّباً إلى خزانة السلطان، مالاً جليلاً، فأجاب السلطان إلى توليته، لِما يعلمه من كفايته لِما يليه، فأحضره وولاّه البلاد كلّها، وكتب منشوره بها.

وسار فبدأ بالبوازيـج ليملكها ويتقوّى بها ويجعلها ظهره، لأنّه خاف من جاولي أنّه ربّما صدّه عن البلاد، فلمّا دخل البوازيج سار عنها إلى الموصل. فلمّا سمع جاولي بقربه من البلد خرج إلى تلقّيه ومعه جميع العسكر، فلمّا رآه جاولي نزل عن فَرَسه وقبّل الأرض بين يدَيْه، وعاد في خدمته إلى الموصِل، فدخلها في رمضان، وأقطع جاولي الرَّحبة وسيّره إليها، وأقام بالموصِل يُصلح أمورها، ويقرّر قواعدها، فولّى نصير الدين دزداريّة القلعة بالموصِل، وجعل إليه سائر دزداريّة القلاع، وجعل صلاح الدين محمّداً أمير حاجب، وبهاء الدين قاضي قضاة بلاده جميعها، وزاده أملاكاً، وأقطاعاً، واحتراماً، وكان لا يصدر إلاّ عن رأيه.

فلمّا فرغ من أمر الموصل سار عنها إلى جزيرة ابن عُمَر، وبها مماليك البرسقيّ، فامتنعوا عليه، فحصرهم وراسلهم، وبذل لهم البذول الكثيرة إن سلّموا، فلّم يجيبوه إلى ذلك، فجدّ في قتالهم[3]، وبينه وبين البلد دِجلة، فأمر الناس، فألقوا أنفسهم في الماء ليعبروه إلى البلد، ففعلوا، وعبر بعضهم سباحةً، وبعضهم في السفن، وبعضهم في الأكلاك، وتكاثروا على أهل الجزيرة، وكانوا قد خرجوا عن البلد إلى أرض بين الجزيرة والدجلة، تُعرف بالزّلاّقة، ليمنعوا من يريد عبور دجلة، فلمّا عبر العسكر إليهم قاتلوهم ومانعوهم، فتكاثر عسكر عماد الدين عليهم، فانهزم أهل البلد، ودخلوه، وتحصّنوا بأسواره، واستولى عماد الدين على الزّلاّقة، فلمّا رأى من بالبلد ذلك ضعفوا، ووهنوا، وأيقنوا أنّ البلد يُملك سلماً، أو عَنْوةً، فأرسلوا يطلبون الأمان، فأجابهم إلى ذلك، وكان هو أيضاً مع عسكره بالزّلاّقة، فسلّموا البلد إليه، فدخله هو وعسكره.

ثم إنّ دجلة زادت تلك الليلة زيادة عظيمة لحِقت سور البلد، وصارت الزّلاّقة ماء، فلو أقام ذلك اليوم لغرق هو وعسكره، ولم ينج منهم أحد، فلمّا رأى الناس

---

(١) في الأوربية: «فذكر».

(٢) في الأصل: «للوزارة».

(٣) في الأوربية: «قتالها».

ذلك أيقنوا بسعادته، وأيقنوا أنّ أمراً هذا بدايته لعظيم.

ثم سار عن الجزيرة إلى نَصِيبين، وكانت لحسام الدين تمرتاش، صاحب ماردين، فلمّا نازلها سار حسام الدين إلى ابن عمّه ركن الدولة داود بن سُقمان بن أرتُق، وهو صاحب حصن كِيفا وغيرها، فاستنجده على أتابك زنكي، فوعده النجدة بنفسه، وجمع عسكره، وعاد تمرتاش إلى ماردين، وأرسل رقاعاً على أجنحة الطيور إلى نَصِيبين يعرّف مَن بها من العسكر أنّه وابن عمّه سائران في العسكر الكثير إليهم، وإزاحة عماد الدين عنهم، ويأمرهم بحفظ البلد خمسة أيّام.

فبينما أتالك في خيمته إذ سقط طائر على خيمةٍ تقابله، فأمر به فصِيد، فرأى فيه رقعة، فقرأها وعرف ما فيها، فأمر أن يُكتب غيرها، يقول فيها: إنّني قصدتُ ابنَ عمّي ركن الدولة، وقد وعدني النُّصرة وجمع العساكر، وما يتأخّر عن الوصول أكثر من عشرين يوماً، ويأمرهم بحفظ البلد هذه المدّة إلى أن يصلوا. وجعلها في الطائر وأرسله، فدخل نصِيبين، فلمّا وقف من بها على الرقعة سُقط في أيديهم، وعلموا أنّهم لا يقدرون أن يحفظوا البلد هذه المدّة، فأرسلوا إلى الشهيد وصالحوه[1]، وسلّموا البلد إليه، فبطل على تمرتاش وداود ما كان عزما عليه، وهذا من غريب ما يُسْمَع.

فلمّا ملك نصيبين سار عنها إلى سِنجار، فامتنع من بها عليه، ثم صالحوه وسلّموا البلد إليه، وسيّر منها الشحن إلى الخابور، فملكه جميعه. ثم سار إلى حَرّان، وهي للمسلمين، وكانت الرُّها، وسَروج، والبيرة، وتلك النواحي جميعها للفرنج، وأهل حَرّان معهم في ضرّ عظيم، وضِيق شديد، لخلُوّ البلاد من حامٍ يذبّ عنها، وسلطانٍ يمنعها، فلمّا قارب حرّان خرج أهل البلد وأطاعوه وسلّموا إليه، فلمّا ملكها أرسل إلى جوسلين، صاحب الرُّها وتلك البلاد، وراسله، وهادنه مدّةً يسيرةً، وكان غرضه أن يتفرّغ لإصلاح البلاد، وتجنيد[2] الأجناد، وكان أهمّ الأمور إليه أن يعبر الفُرات إلى الشام، ويملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشاميّة، فاستقرّ الصُّلح بينهم، وأمِن الناس[3]، ونحن نذكر ملك حلب، إن شاء الله تعالى.

---

(١) في الأوربية: «وصالحه».

(٢) في الأوربية: «وجند».

(٣) تاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ٣٧٧ (وتحقيق سويم) ٤٢، ٤٣، الأعلاق الخطيرة ٣ ق ١/ ١٦٥، ١٦٦ الدرّة المضية ٥٠٠، تاريخ الإسلام (٥٢١ هـ.) ص٨، الكواكب الدّرية ٩٢، تاريخ =

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قُتل مُعين المُلْك أبو نصر أحمد بن الفضل، وزير السلطان سنجَر، قتلته الباطنيّة، وكان له في قتالهم آثار حسنة، ونيّة صالحة، فرزقه اللّه الشهادة[١].

وفيها ولّى السلطان شحنكية بغداذ مجاهد الدين بهروز، لمّا سرا أتابُك زنكي إلى الموصل[٢].

وفيها رُتّب الحسن بن سليمان[٣] في تدريس النظاميّة ببغداذ.

وفيها أوقع السلطان سنجَر بالباطنيّة في ألَمُوت، فقتل منهم خلقاً كثيراً، قيل كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس[٤].

[الوَفَيات]

وتُوُفّي هذه السنة عليُّ بن المبارك[٥] أبو الحسن المقري، المعروف بابن الفاعوس[٦]، الحنبليُّ، ببغداذ، في شوّال، وكان صالحاً.

وفي شوّال توفّي محمّد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن أبي الفضل الهمذانيُّ الفَرَضِيُّ، صاحب «التاريخ»[٧].

= ابن الوردي ٢/٣٣، عيون التواريخ ١٢/١٨٩، النجوم الزاهرة ٥/٢٣٢، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٨، ٢٣٩.

(١) تاريخ حلب ٣٧٧ (٤٢)، مرآة الزمان ٨ ق١/ ١٢٥ الكواكب الدّرية ٩٢/النجوم الزاهرة ٥/٢٣٢، تاريخ الإسلام (٥٢١ هـ.) ص٧.

(٢) المنتظم ١٠/٥ (١٧/ ٢٤٤)، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٩، تاريخ الإسلام (٥٢١ هـ.) ص٧.

(٣) في المنتظم (١٠/ ٥ (١٧/ ٢٢٤)، «سلمان».

(٤) في المنتظم ١٠/ ٥ (١٧/ ٤٤٢) «قتل من الباطنية اثني عشر ألفاً»، وفي دول الإسلام ٢/ ٤٥ «نحو عشرة آلاف»، وفي تاريخ الإسلام (٥٢١ هـ.) ص٥٦ «اثني عشر ألفاً»، العبر ٤/ ٤٩، مرآة الجنان ٣/ ٢٢٧، الكواكب الدّرية ٩٢.

(٥) في طبعة صادر ١٠/ ٦٤٨ «المبرك».

(٦) أنظر عن (ابن الفاعوس) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٢١ هـ.) ص٦٧ ـ ٦٩ رقم ١٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) أنظر عن (محمد بن عبد الملك) في: المنتظم ١٠/ ٨ رقم ٦ (١٧ ٢٤٨ رقم ٣٩٤٨)، والبداية والنهاية ١٢/ ١٩٨.

(٥٢٢)
ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

ذكر ملك أتابك عماد الدين زنكي مدينة حلب

في هذه السنة، أوّل المحرّم، ملك عماد الدين زنكي بن آقسنقر مدينة حلب وقلعتها، ونحن نذكر كيف كان سبب ملْكها، فنقول: قد ذكرنا مُلك البرسقيّ لمدينة حلب وقلعتها سنة ثماني عشرة [وخمسمائة]، واستخلافه بها ابنه مسعوداً، ولمّا قُتل البرسقيُّ سار مسعود عنها إلى الموصل وملكها، واستناب بحلب أميراً اسمه قومان[1]، ثم إنّه ولّى عليها أميراً اسمه قتلغ أبَه، وسيّره بتوقيع إلى قومانس بتسليمها، فقال: بيني وبين عزّالدين علامة لم أرها، ولا أسلّم إلاّ بها؛ وكانت العلامة بينهما صورة غزال، وكان مسعود بن البرسقي حسن التصوير، فعاد قتلغ أبَه إلى مسعود، وهو يحاصر الرَّحبة، فوجده قد مات، فعاد إلى حلب مُسرعاً.

وعرف الناس موتَه، فسلّم الرئيس فضائل بن بديع البلد، وأطاعه المقدّمون به، واستنزلوا قومان[1] من القلعة، بعد أن صحّ عنده وفاة صاحبه مسعود، وأعطوه ألف دينار، فتسلّم قتلغ القلعة في الرابع والعشرين من جُمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين [وخمسمائة]، فظهر منه بعد أيّام جورٌ شديد، وظلْمٌ عظيم، ومدّ يده إلى أموال الناس، لا سيّما الترِكات، فإنّه أخذها، وتقرب إليه الأشرار، فنفرت قلوب الناس منه.

وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبّار بن أُرتُق الذي كان قديماً صاحبها، فأطاعه أهلها، وقاموا ليلة الثلاثاء ثاني شوّال فقبضوا على كلّ من كان بالبلد

---

(١) في زبدة الحلب ٢/٢٣٦ «تومان»، ومثله في: مفرّج الكروب ١/٣٧، وفي المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٩ «قوماز كذا رأيته مكتوباً وصوابه قيماز».

من أصحاب قتلغ أبَه، وكان أكثرهم يشربون في البلد صبحة العيد، وزحفوا إلى القلعة، فتحصّن قتلغ أبَه فيها بمن معه، فحصروه، ووصل إلى حلب حسّان صاحب مَنْبِج، وحسن صاحب بُزاعة، لإصْلاح الأمر فلم ينصلح.

وسمع الفرنج بذلك، فتقدّم جوسلين بعسكره إلى المدينة، فصونع بمالٍ، فعاد عنها، ثم وصل بعده صاحب أنطاكية في جمْع من الفرنج، فخندق الحلبيّون حول القلعة، فمنع الداخل والخارج إليها من ظاهر البلَد، وأشرف الناس على الخطر العظيم إلى منتصف ذي الحجّة من السنة.

وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة، فسيّر إلى حلب الأميرَ سنقر دراز، والأميرَ حسن قراقوش، وهما من أكابر أُمراء البرسقيّ، وقد صاروا معه في عسكر قويّ، ومعه التوقيع من السلطان بالموصل، والجزيرة، والشام، فاستقرّ الأمر أن يسير بدر الدولة بن عبد الجبّار وقتلغ أبَه إلى الموصل إلى عماد الدين، فسارا إليه، وأقام حسن قراقوش بحلب والياً عليها ولاية مستعارة، فلمّا وصل بدر الدولة وقتلغ أبَه إلى عماد الدين أصلح بينهما، ولم يردّ واحداً منهما إلى حلب، وسيّر حاجبَهُ صلاح الدين محمّداً الياغيسيانيّ إليها في عسكر، فصعِد إلى القلعة، ورتّب الأمور، وجعل فيها والياً.

وسار عماد الدين زنكي إلى الشام في جيوشه وعساكره، فملك في طريقه مدينة مَنْبِج وبُزاعة، وخرج أهل حلب إليه، فالتقوه، واستبشروا بقدومه، ودخل البلد واستولى عليه، ورتّب أموره، وأقطع أعماله الأجناد والأمراء، فلمّا فرغ من الذي أراده قبض على قتلغ أبَه وسلمّه إلى ابن بديع، فكحله بداره بحلب، فمات قتلغ أبَه، واستوحش ابن بديع، فهرب إلى قلعة جَعْبر واستجار بصاحبها، فأجاره.

وجعل عماد الدين في رئاسة حلب أبا الحسن عليَّ بن عبد الرزّاق، ولولا أنّ اللّه تعالى منّ على المسلمين بملك أتابك ببلاد الشام (لملكها الفرنج لأنّهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشاميّة، وإذا)[1] علم ظهير الدين طُغتِكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم، وحصرها وأغار عليها، فيضطرّ الفرنج إلى الرحيل لدفعه عن بلادهم، فقدّر اللّه تعالى أنّه توفي هذه السنة، فخلا لهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم

---

(١) ما بين القوسين من نسخة بودليان.

بنُصرة أهله، فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين[1]، ففعل بالفرنج ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر قدوم السلطان سَنْجَر إلى الرَّيّ

في هذه السنة خرج السلطان سنجَر منّ خُراسان إلى الرَّيّ في جيش كبير، وكان سبب ذلك: أنّ دُبَيْس بن صدقة لمّا وصل إليه هو والملك طُغْرُل، على ما ذكرناه، لم يزل يُطمِعه في العراق ويُسهّل عليه قصده، ويُلقي في نفسه أنّ المسترشد بالله والسلطان محموداً متّفقان على الامتناع منه، ولم يزل به حتّى أجابه إلى المسير إلى العراق، فلمّا ساروا وصل إلى الرَّيّ، وكان السلطان محمود بهمَذان، فأرسل إليه السلطان سنجَر يستدعيه إليه لينظر هل هو على طاعته أم قد تغيّر على ما زعم دُبَيْس، فلمّا جاءه الرسول بادر إلى المسير إلى عمّه، فلمّا وصل إليه أمر العسكر جميعه بلقائه، وأجلسه معه على التخت، وبالغ في إكرامه، وأقام عنده إلى منتصف ذي الحجّة، ثم عاد السلطان سنجَر إلى خُراسان، وسلّم دُبَيْساً إلى السلطان محمود، ووصّاه بإكرامه وإعادته إلى بلده، ورجع محمود إلى همَذان ودُبَيْس معه، ثم سارا إلى العراق، فلمّا قاربا بغداذ خرج الوزير إلى لقائه، وكان قدومه تاسع المحرّم سنة ثلاثٍ وعشرين [وخمسمائة][2].

وكان الوزير أبو القاسم الأنساباذيّ قد قبض السلطان محمود عليه، فلمّا اجتمع بالسلطان سنجَر أمر بإطلاقه فأطلقه، وقرّره سنجَر في وزارة ابنته التي زوّجها بالسلطان محمود، فلمّا وصل معه إلى بغداذ أعاده محمود إلى وزارته في الرابع والعشرين من المحرّم، وهي وزارته الثانية.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ثامن صفر تُوُفي أتابَك طُغْتِكين، صاحب دمشق، وهو مملوك

---

(١) تاريخ حلب ٣٨١ (٤٣)، التاريخ الباهر ٣٧، ٣٨، تاريخ مختصر الدول ٢٠٣، الروضتين ١/ ٧، و٧٨، زبدة الحلب ٢/ ٢٤١، ٢٤٢، بغية الطلب (قسم تراجم السلاجقة/ ٢٥٢، دول الإسلام ٢/ ٤٥، العبر ٤/ ٥٠، تاريخ الإسلام (٥٢٢ هـ.) ص١٢، الدّرة المضية ٥٠٢، عيون التواريخ ١٢/ ١٩٧، الكواكب الدرّية ٣ (حوادث ٥٢١ هـ.).

(٢) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٩، ٢٤٠، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٨١، ٣٨٢، و٢٧/ ٢٨.

الملك تُتُش بن ألب أرسلان، وكان عاقلاً، خيّراً، كثير الغزوات والجهاد للفرنج، حسن السيرة في رعيّته، مؤثراً[1] للعدل فيهم، وكان لَقَبُه ظهير الدين، ولمّا تُوُفّي ملك بعده ابنه تاج الملوك بوري، وهو أكبر أولاده، بوصيّة من والده له بالملك، وأقرّ وزير أبيه أبا عليّ طاهر بن سعد المزدقانيّ على وزارته[2].

وفيها مستهلّ رجب. توفّي الوزير جلال الدين أبو عليّ بن صَدَقَة[3]، وزير الخليفة، وكان حَسَن السيرة، جميل الطريقة، متواضعاً، مُحِبّاً لأهل العلم، مُكرِماً لهم، وله شِعر حَسَن، فمنه في مدح المسترشد بالله:

وجدت الورى كالماء طعماً ورقة وأن أمير المؤمنين زلاله

وجدت معنى العقل شخصاً مصوراً وأن أمير المؤمنين مثاله

ولو طريق[4] الدين والشرع والتقى لقلت من الاعظام جلّ جلاله[5]

وأقيم في النيابة بعده شرف الدين عليُّ بن طِراد الزينبيُّ[6]، ثم جُعل وزيراً، وخُلع عليه آخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاثٍ وعشرين [وخمسمائة]، ولم يَزِرْ للخلفاء من بني العبّاس هاشميّ غيره.

وفيها هبّت ريح شديدة اسودّت لها الآفاق[7]، وجاءت بتراب أحمر يُشْبه الرمل، وظهر في السماء أعمدة كأنّها نار، فخاف الناس، وعدلوا إلى الدعاء والاستغفار، فانكشف عنهم ما يخافونه.

---

(١) في الأوربية: «مؤثر».

(٢) أنظر عن (طغتكين) في: تاريخ الإسلام (٥٢٢ هـ.) ص٧٤، ٧٥، رقم ١٨ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٣) أنظر عن (الوزير ابن صدقة) في: تاريخ الإسلام (٥٢٢ هـ.) ص٧١، ٧٢ رقم ١٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) في تاريخ الإسلام ««مكان».

(٥) في المنتظم البيتان الأول والأخير.

(٦) المنتظم ١٠/ ١١ (١٧/ ٢٥٤).

(٧) المنتظم ١٠/ ٩ (١٧/ ٢٤٩).

(٥٢٣)
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

ذكر قدوم السلطان محمود إلى بغداذ

في هذه السنة، في المحرّم، قدِم السلطان محمود بغداذ، بعد عَوده من عند عمّه السلطان سنجَر، ومنعه دُبَيْس بن صدقة، ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله. فتأخّر دُبَيْس عن السلطان، ثم دخل بغداذ، ونزل بدار السلطان، واسترضى عنه الخليفة، فامتنع الخليفة من الإجابة إلى أن يُوَلّى دُبَيْس شيئاً[١] من البلاد، وبذل مائة ألف دينار لذلك[٢].

وعلم أتابك زنكي أنّ السلطان يريد أن يولّى دُبَيْس الموصل، فبذل مائة ألف دينار، وحضر بنفسه إلى خدمة السلطان، فلم يشعر به إلاّ وهو عند السِّتر، وحمل معه الهدايا الجليلة، فأقام عند السلطان ثلاثة أيّام، وخلع عليه، وأعاده إلى الموصِل[٣].

وخرج السلطان يتصيّد، فعمل له شيخ المَزْرَفة دعوةً عظيمة امتار منها جميع عسكر السلطان، وأدخله إلى حمّام في داره، وجعل فيه عِوَض الماء ماء الورد، فأقام السلطان إلى رابع جُمادى الآخرة، وسار عنها إلى هَمَذان، وجعل بهروز على شِحنكيّة بغداذ، وسُلّمت إليه الحِلّة أيضاً[٤].

---

(١) في الأوربية: «تولى دبيس شيء».

(٢) المنتظم ١٠/ ١١ (١٧/ ٢٥٢)، نهاية الأرب ٢٧/ ٢٨.

(٣) المنتظم ١٠/ ١١ (١٧/ ٢٥٢)نهاية الارب ٢٧/ ٢٨.

(٤) المنتظم ١٠/ ١١ (١٧/ ٢٥٢)، زبدة الحلب ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤، العبر ٤/ ٥٢، تاريخ الإسلام (٥٢٣ هـ.) ص١٣، مرآة الجنان ٣/ ٢٢٩، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٩ عيون التواريخ ١٢/ ٢٠٢، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٣٤.

ذكر ما فعله دُبَيْس بالعراق وعود السلطان إلى بغداذ

لمّا رحل السلطان إلى همَذان ماتت زوجته، وهي ابنة السلطان سنجَر، وهي التي كانت تُعنى بأمر دُبَيْس، وتدافع عنه، فلمّا ماتت انحلّ أمر دُبَيْس.

ثم إنّ السلطان مرض مرضاً شديداً، فأخذ دُبَيْس ابناً له صغيراً وقصد العراق، فلمّا سمع المسترشد بالله بذلك جنّد الأجناد، وحشد، وكان بهروز بالحِلّة، فهرب منها، فدخلها دُبَيْس في شهر رمضان؛ فلمّا سمع السلطان الخبر عن دُبَيْس أحضر الأميرَيْن قزل، والأحمديليّ، وقال: أنتما ضمنتما دُبَيْساً منّي، وأريده منكما. فسار الأحمديليّ إلى العراق، إلى دُبَيْس، ليكفّ شرّه عن البلاد، ويحضره إلى السلطان، فلمّا سمع دُبَيْس الخبر أرسل إلى الخليفة يستعطفه، ويقول: إنْ رضيتَ عنّي فأنا أردّ أضعاف ما أخذتُ، وأكون العبد المملوك، فتردّد الرسل ودُبَيْس يجمع الأموال، والرجال، فاجتمع معه عشرة آلاف فارس، وكان قد وصل في ثلاثمائة فارس، ووصل الأحمديليُّ بغداذَ في شوّال، وسار في أثر دُبَيْس.

ثم إنّ السلطان سار إلى العراق، فلمّا سمع دُبَيْس بذلك أرسل إليه هدايا جليلة المقدار، وبذل ثلاثمائة حصان منعلة بالذهب، ومائتَيْ ألف دينار، ليرضى عنه السلطان والخليفة، فلم يُجِبه إلى ذلك، ووصل السلطان إلى بغداذ في ذي القعدة، فلقيه الوزير الزينبي وأرباب المناصب، فلمّا تيقّن دُبَيْس وصوله رحل إلى البرّيّة، وقصد البصرة وأخذ منها أموالاً كثيرة، وما للخليفة والسلطان هناك من الدخل، فسيّر السلطان إثره عشرة آلاف فارس، ففارق البصرة ودخل البرّيّة[1].

ذكر قتل الإسماعيليّة بدمشق

قد ذكرنا فيما تقدّم قَتْل إبراهيم الأسداباذيّ ببغداذ، وهَرب ابن أُخته بَهرام إلى الشام، ومُلْكه قلعة بانياس، ومسيره إليها، ولمّا فارق دمشق أقام له بها خليفة يدعو الناس إلى مذهبه، فكثروا وانتشروا، وملك هو عدّة حصون من الجبال منها القدموس

---

(1) المنتظم ١٠/ ١٢، ١٣ (١٧/ ٢٥٣، ٢٥٤)، تاريخ الزمان ١٤٢، نهاية الأرب ٢٧/ ٢٨، ٢٩، دول الإسلام، ٢/ ٤٦، تاريخ الإسلام (٥٢٣ هـ.) ص١٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٤، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٠، عيون التاريخ ١٢/ ٢٠٢.

وغيره، وكان بوادي التَّيم، من أعمال بعلبكّ، أصحاب مذاهب مختلفة من النصيرية، والدرزيّة، والمجوس، وغيرهم، وأميرهم اسمه الضّحّاكُ، فسار إليهم بهرام سنة اثنتين وعشرين [وخمسمائة] وحصرهم وقاتلهم، فخرج إليه الضحّاك في ألف رجل، وكبس عسكر بَهرام فوضع السيف فيهم، وقتل منهم مقتلة كثيرة، وقُتل بَهرام، وانهزم من سلم، وعادوا إلى بانياس على أقبح صورة.

وكان بَهرام قد استخلف في بانياس رجلاً من أعيان أصحابه اسمه إسماعيل، فقام مقامه، وجمع شمل من عاد إليه منهم، وبثّ دُعاته في البلاد، وعاضده المزدقانيُّ أيضاً، وقوّى نفسه على ما عنده من الامتعاض بهذه الحادثة، والهمّ بسببها.

ثم إنّ المزدقانيّ أقام بدمشق عِوض بهرام إنساناً اسمه أبو الوفاء، فقوي أمره وعلا شأنه وكثُر أتباعه، وقام بدمشق، فصار المستولي على من بها من المسلمين، وحكمه أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك. ثم إنّ المزدقانيّ راسل الفرنج ليسلّم إليهم مدينة[1] دمشق، ويسلّموا إليه مدينة صور، واستقرّ الأمر بينهم على ذلك، وتقرّر بينهم الميعاد يوم جمعة ذكروه، وقرّر المزدقانيُّ مع الإسماعيليّة أن يحتاطوا ذلك اليوم (بأبواب الجامع فلا يمكّنوا أحداً من الخروج)[2] منه ليجيء الفرنج ويملكوا البلاد. فبلغ الخبر تاجَ الملوك، صاحب دمشق، فاستدعى المزدقانيُّ إليه، فحضر، وخلا معه، فقتله تاج الملوك، وعلّق رأسه على باب القلعة، ونادى في البلد بقتل الباطنيّة، فقُتل منهم ستّة آلاف نفس، وكان ذلك منتصف رمضان من السنة، وكفى اللّه المسلمين شرّهم، وردّ على الكافرين كيدهم.

ولمّا تمّت هذه الحادثة بدمشق على الإسماعيليّة، خاف إسماعيل والي بانياس أن يثور به وبمن معه الناس فيهلكوا، فراسل الفرنجَ، وبذل لهم تسليم بانياس إليهم، والإنتقال إلى بلادهم، فأجابوه، فسلم القلعة إليهم، وانتقل هو ومن معه من أصحابه إلى بلادهم، ولقوا شدّة وذلّة وهواناً، وتوفّي إسماعيل أوائل سنة أربع وعشرين [وخمسمائة]، وكفى اللّه المؤمنين شرّهم[3].

---

(١) كتب على الهامش: «قلعة».

(٢) في الأوربية: «على أبواب الجامع فلا يمكنون أحداً يخرج».

(٣) تاريخ حلب ٣٨١ (٤٤)، تاريخ دمشق ٢٢٤، المنتظم ١٠/١٣ (١٧/٢٥٤)، مرآة الزمان ج ٨ =

ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم

لمّا بلغ الفرنجَ قتلُ المزدقانيّ والإسماعيليّة بدمشق عظُم عليهم ذلك، وتأسّفوا على دمشق حيث لم يتمّ لهم ملكها، وعمّتهم المصيبة، فاجتمعوا كلّهم: صاحب القدس، وصاحب أنطاكية، وصاحب طرابلس، وغيرهم من الفرنج وقمامصتهم، ومن وصل إليهم في البحر للتجارة والزيارة، فاجتمعوا في خلْقٍ عظيم نحو ألفَيْ فارس، وأمّا الراجل فلا يُحصَى، وساروا إلى دمشق ليحصروها.

ولمّا سمع تاج الملوك بذلك جمع العرب والتركمان، فاجتمع معهم ثمانية آلاف فارس، ووصل الفرنج في ذي الحجّة، فنازلوا البلد، وأرسلوا إلى أعمال دمشق لجمع المِيرة والإغارة على البلاد، فلمّا سمع تاج الملوك أنّ جَمْعا كثيراً قد ساروا إلى حَوْران لنهبه، وإحضار الميرة، سَيّرَ[١] أميراً من أمرائه، يُعرف بشمس الخواصّ، في جمْع من المسلمين إليهم، وكان خروجهم في ليلةٍ شاتية، كثيرة المطر، ولقوا الفرنج من الغد، فواقعوهم، واقتتلوا، وصبر بعضهم لبعض، فظفر بهم المسلمون وقتلوهم، فلم يفلتْ منهم غير مقدّمهم ومعهم أربعون رجلاً، وأخذوا ما معهم، وهي عشرة آلاف دابّة موقَرة، وثلاثمائة أسير، وعادوا إلى دمشق لم يمسَسْهم قَرْح. فلمّا علم من عليها[٢] من الفرنج ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب، فرحلوا عنها شبه المنهزمين، وأحرقوا ما تعذّر عليهم حَمْله من سلاح وميرة وغير ذلك، وتبعهم المسلمون، والمطر شديد، والبرد عظيم، يقتلون كلّ من تخلّف منهم، فكَثُر القتلى منهم، وكان نزولهم ورحيلهم في ذي الحجّة من هذه السنة[٣].

ذكر ملك عماد الدين زنكي مدينة حماة

في هذه السنة ملك عماد الدين زنكي بن آقسنقَر، صاحب الموصل، مدينة حماة.

= ق ١/ ١٣٠، تاريخ الإسلام (٥٢٣ هـ.) ص١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، الكواكب الدرّية ٩٥، عيون التواريخ ١٢/ ٢٠٣، نهاية الأرب ٢٧/ ٨٠. دول الإسلام ٢/ ٤٦ العبر ٤/ ٥٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٤، ٣٥، الدرّة المضية ٥٠٣، مرآة الجنان ٣/ ٢٢٩، شذرات الذهب ٤/ ٦٧.

(١) في الأوربية: «فسير».

(٢) في الأوربية: «عليه».

(٣) ذيل تاريخ دمشق ٢٢٥ ـ ٢٢٧، نهاية الأرب ٢٧/ ٨٠، ٨١، دول الإسلام ٢/ ٤٦، العبر ٤/ ٥٣، تاريخ الإسلام (٥٢٣ هـ.) ص٢٠، مرآة الجنان ٣/ ٢٢٩.

وسبب ذلك: أنّه عبر الفرات إلى الشام، وأظهر أنّه يريد جهاد الفرنج، وأرسل إلى تاج الملوكَ بوري بن طُغتكين، صاحب دمشق، يستنجده، ويطلب منه المعونة على جهادهم، فأجاب إلى المراد، وأرسل من أخذ له العهود والمواثيق، فلمّا وصلت التوثقة جرّد عسكراً من دمشق مع جماعة من الأمراء، وأرسل إلى ابنه سونج، وهو بمدينة حَماة، يأمره بالنزول إلى العسكر، والمسير معهم إلى زنكي، ففعل ذلك، فساروا جميعهم، فوصلوا إليه، فأكرمهم، وأحسن لقاءهم، وتركهم أيّاماً.

ثم إنّه غدر بهم، فقبض على سونج ولد تاج الملوك، وعلى جماعة الأمراء المقدّمين، ونهب خيامهم وما فيها من الكراع، واعتقلهم بحلب، وهرب من سواهم، وسار من يومه إلى حماة، فوصل إليها وهي خالية من الجُند الحُماة الذابّين، فملكها واستولى عليها، ورحل عنها إلى حمص، وكان صاحبها قرجان[1] بن قراجة معه في عسكره، وهو الذي أشار عليه بالغدر بولد تاج الملوك، فقبض عليه، ونزل على حمص وحصرها، وطلب من قرجان صاحبها أن يأمر نوّابه وولده الذين فيها بتسليمها، فأرسل إليهم بالتسليم، فلم يقبلوا منه، ولا التفتوا إلى قوله، فأقام عليها محاصراً لها، ومقاتلاً لمن فيها مدّة طويلة، فلم يقدر على ملكها، فرحل عنها عائداً إلى الموصل، واستصحب معه سونج بن تاج الملوك ومن معه من الأمراء الدمشقيّين.

وتردّدت الرسل في إطلاقهم بينه وبين تاج الملوك، واستقرّ الأمر على خمسين ألف دينار، فأجاب تاج الملوك إلى ذلك، ولم ينتظم بينهم أمر[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ملك بيْمُند، صاحب أنطاكية، حصن القَدْمُوس من المسلمين[3].

وفي هذه السنة أيضاً وثب الإسماعيليّة على عبد اللطيف بن الخُجَنْديّ، رئيس الشافعيّة بأصبهان، فقتلوه، وكان ذا رئاسة عظيمة وتحكُّم كثير[4].

---

(١) في الباريسية: «خرخان».
(٢) المختصر في أخبار البشر ٣/٣.
(٣) المختصر في أخبار البشر ٣/٣.
(٤) تاريخ الإسلام (٥٢٣ هـ.) ص١٦، عيون التواريخ ١٢/٢٠٤ وفيه) «صدر الدين ملك العلماء مسعود =

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفّي الإمام أبو الفتَح أسعد بن أبي نصر المِيْهَنيّ[1] الفقيه الشافعيُّ، مدرّس النِّظاميّة ببغداذ، وله طريقة مشهورة في الخلاف، وتفقّه على أبي المظفّر السمعانّي، وكان له قَبُولٌ عظيم عند الخليفة، والسلطان، وسائر الناس.

وفيها توفّي حمزة بن هبة اللّه بن محمّد بن الحسن الشريف العلويّ، الحسنيُّ، النَّيسابوريُّ، سمع الحديث الكثير، ورواه، ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وجمع مع[2] شرف النسب شرف النفس والتقوى، وكان زيديّ المذهب[3].

= الخجندي».

(١) أنظر عن (أسعد المهيني) في: المنتظم ١٠/١٣ رقم ١١ (١٧/٢٥٥ رقم ٣٩٥٣)، وتذكرة الحفاظ ١٢٨٨، والبداية والنهاية ١٢/٢٠٠.

(٢) في الأوربية: «من».

(٣) أنظر عن (حمزة بن هبة الله) في تاريخ الإسلام (٥٢٣ هـ.) ص ٨٢ رقم ٢٩.

(٥٢٤)
ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة

ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمّد خان وملك محمود بن محمّد خان المذكور

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، ملك السلطان سنجَر مدينة سَمَرْقَنَد.

وسبب ذلك: أنّه كان قد رتّب فيها، لمّا ملكها أوّلاً، أرسلان خان محمّد بن سليمان بن بغراخان دواد، فأصابه فالج، فاستناب ابناً له يُعرف بنصرخان، وكان شهماً، شجاعاً، وكان بسمرقند إنسان علويّ، فقيه، مدرّس، إليه الحلّ والعقد، والحكم في البلد، فاتّفق هو ورئيس البلد على قتل نصرخان، فقتلاه ليلاً، وكان أبوه محمّد خان غائباً، فعظُم عليه واشتدّ، وكان له ابن آخر غائب في بلاد تركستان، فأرسل إليه واستدعاه، فلمّا قارب سَمَرْقَنْد خرج العلويُّ ورئيس البلد إلى استقباله، فقتل العلويَّ في الحال، وقبض على الرئيس.

وكان والده أرسلان خان قد أرسل إلى السلطان سنجَر رسولاً يستدعيه، ظنّاً منه أنّ ابنه لا يتمّ أمره مع العلويّ والرئيس، فتجهّز سنجَر وسار يريد سمرقند، فلمّا ظفر ابن أرسلان خان بهما ندم على استدعاء السلطان سنجَر، فأرسل إليه يعرّفه أنّه قد ظفر بالعلويّ والرئيس، وأنّه وابنه على الطاعة، ويسأله العَود إلى خُراسان، فغضب سنجَر من ذلك، وأقام أيّاماً، فبينما هو في الصيد إذ رأى اثني عشر رجلاً في السلاح التامّ، فقبض عليهم وعاقبهم، فأقرّوا أنّ محمّد خان أرسلهم ليقتلوه، فقتلهم، ثم سار إلى سمرقند فملكها عَنْوةً، ونهب بعضها، ومنع من الباقي، وتحصّن منه محمّد خان ببعض تلك الحصون، فاستنزله السلطان سنجَر بأمان، بعد مّدة، فلمّا نزل إليه أكرمه وأرسله إلى ابنته زوجة السلطان سنجَر، فبقي عندها إلى أن توفّي.

وأقام سنجَر بسَمَرْقَنَد مدّةً حتّى أخذ المال والسلاح والخزائن، وسلّم البلد إلى

الأمير حسن تكين، وعاد إلى خُراسان، فلم يلبث حسن تكين أن مات، فملّك سنجر بعده عليها محمود بن محمّد خان بن سليمان بن داود، المقدم ذكره[1].

وقيل إنّ السبب غير ما ذكرناه، وسيرِد ذِكره سنة ستّ وثلاثين للحاجة إلى ذكره هناك.

ذكر فتح عماد الدين زنكي حصن الأثارب وهزيمة الفرنج

لمّا فرغ عماد الدين زنكي من أمر البلاد الشاميّة، حلب وأعمالها، وما ملكه، وقرّر قواعده، عاد إلى الموصِل، وديار الجزيرة، ليستريح عسكره، ثم أمرهم بالتجهّز للغزاة، فتجهزّوا وأعدّوا واستعدّوا، وعاد إلى الشام، وقصد حلب، فقوي عزمه على قصد حصن الأثارب، ومحاصرته، لشدّة ضرره على المسلمين.

وهذا الحصن بينه وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ، بينها وبين أنطاكية، وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع أعمالها الغربيّة، حتّى على رحىً لأهل حلب بظاهر باب الجنان، بينها وبين البلد عرض الطريق، وكان أهل البلد معهم في ضرّ شديد، وضيق، كلّ يوم قد أغاروا عليهم، ونهبوا أموالهم، فلمّا رأى الشهيد هذه الحال صمّم العزم على حصر هذا الحصن، فسار إليه ونازله.

فلمّا علم الفرنج بذلك جمعوا فارسهم وراجلهم، وعلموا أنّ هذه وقعة لها ما بعدها، فحشدوا وجمعوا، ولم يتركوا من طاقتهم شيئاً إلاّ استنفدوه، فلمّا فرغوا من أمرهم ساروا نحوه، فاستشار أصحابه فيما يفعل، وكلٌّ أشار بالعَود عن الحصن، فإنّ لقاء الفرنج في بلادهم خطر لا يُدرى على أيّ شيء تكون العاقبة. فقال لهم: إنّ الفرنج متى رأونا قد عُدنا من أيديهم طمعوا وساروا في أثرنا، وخرّبوا بلادنا، ولا بدّ من لقائهم على كلّ حالٍ.

ثم ترك الحصن وتقدّم إليهم، فالتقوا، واصطفّوا للقتال، وصبر كلّ فريق لخصْمه، واشتدّ الأمر بينهم، ثم إن اللّه تعالى أنزل نصره على المسلمين، فظفروا،

---

(١) تاريخ حلب ٢٨٣ (٤٥) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٨٢، تاريخ الإسلام (٥٢٤ هـ.) ص ٢٣، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٠ عيون التواريخ ١٢/ ٢٠٧.

وانهزم الفرنج أقبح هزيمةٍ، ووقع كثير من فرسانهم في الأسر، وقُتل منهم خلق كثير، وتقدّم عماد الدين إلى عسكره بالإنجاز، وقال: هذا أوّل مصافٍّ عملناه معهم، فلنُذِقهم من بأسنا ما يبقى رعبه في قلوبهم؛ ففعلوا ما أمرهم؛ ولقد اجتزت[1] بتلك الأرض سنة أربع وثمانين وخمسمائة ليلاً، فقيل لي: إنّ كثيراً من العظام باقٍ إلى ذلك الوقت.

فلمّا فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا إلى الحصن فتسلّموه عَنوةً، وقتلوا وأسروا كلّ من فيه، وأخربه عماد الدين، وجعله دكّاً، وبقي إلى الآن خراباً، ثم سار منه إلى قلعة حارم، وهي بالقرب من أنطاكية، فحصرها، وهي أيضاً للفرنج، فبذل له أهلها نصف دخل بلد حارم، وهادنوه، فأجابهم إلى ذلك، وعاد عنهم وقد استدار المسلمون بتلك الأعمال، وضعفت قُوَى الكافرين، وعلموا أنّ البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم في حساب، وصار قُصاراهم حفظ ما بأيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا في ملك الجميع[2].

ذكر ملك عماد الدين زنكي أيضاً مدينة سرجي ودارا

لمّا فرغ من أمر الأثارب وتلك النواحي، عاد إلى ديار الجزيرة، وكان قد بلغه عن حسان الدين تمرتاش بن إيلغازي، صاحب ماردين، وابن عمّه ركن الدولة داود بن سُقمان، صاحب حصن كيفا، قوارص، فعاد إليهم، وحصر مدينة سرجي، وهي بين ماردين ونصِيبين، فاجتمع حسام الدين، وركن الدولة، وصاحب آمِد، وغيرهم، وجمعوا خلقاً كثيراً من التركمان بلغت عدّتهم عشرين ألفاً، وساروا إليه، فتصافّوا بتلك النواحي، فهزمهم عماد الدين وملك سرجي.

فحكى لي والدي قال: لمّا انهزم ركن الدولة داود قصد بلد جزيرة ابن عمر ونهبه، فبلغ الخبر إلى عماد الدين، فسار نحو الجزيرة، وأراد دخول بلد داود، ثم عاد عنه لضيق مسالكه، وخشونة الجبال التي في الطريق، وسار إلى

---

(١) في الأوربية: «اجترت».

(٢) تاريخ حلب ٢٨٣ (٤٥)، التاريخ الباهر ٣٩ ـ ٤٢، المختصر في أخبار البشر ٣/٣،٤، العبر ٤/ ٥٥، تاريخ الإسلام (٥٢٤ هـ.) ص٢٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٥، مرآة الجنان ٣/ ٢٣٠، الكواكب الدرية ٩٧.

دَارًا[١] فملكها، وهي من القلاع في تلك الأعمال[٢].

ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلويّ

في هذه ا لسنة، ثاني ذي القعدة، قُتل الآمر بأحكام اللّه أبو عليّ بن المستعلي العلويُّ، صاحب مصر، خرج إلى متنزه له، فلمّا عاد وثب عليه الباطنيّة فقتلوه، لأنّه كان سيّىء السيرة في رعيّته، وكانت ولايته تسعاً[٣] وعشرِين سنة وخمسة أشهر، وعمرُه أربعاً[٤] وثلاثين سنة، وهو العاشر من ولد المهديّ عُبيد اللّه الذي ظهر بسِجِلْمَاسةَ وبنى[٥] المهَديّة بإفريقية، وهو أيضاً العاشر من الخلفاء العلويّين من أولاد المهديّ أيضاً.

ولمّا قُتل لم يكن له ولد بعده، فوليَ بعده ابن عمّه الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم بن المستنصر باللّه، ولم يبايَع بالخلافة، وإنّما بويع له لينظر في الأمر نيابة، حتى يكشف عن حملٍ إن كان للآمر فتكون[٦] الخلافة فيه، ويكون هو نائباً عنه.

ومولد الحافظ بعسَقلان، لأنّ أباه خرج من مصر إليها في الشدّة، فأقام بها، فولد ابنه عبد المجيد هناك، ولمّا وليَ استوزر أبا عليّ أحمد بن الأفضل بن بدر الجماليّ، واستبدّ بالأمر، وتغلّب على الحافظ، وحجر عليه، وأودعه في خزانة، ولا يدخل إليه إلاّ من يريده أبو عليّ، وبقي الحافظ له اسم لا معنى تحته، ونقل أبو عليّ كلَّ ما[٧] [كان] في القصر إلى داره من الأموال وغيرها، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن قُتل أبو عليّ سنة ستّ وعشرين [وخمسمائة] فاستقامت أمور الحافظ، وحكم في دولته، وتمكّن من ولايته وبلاده[٨].

---

(١) في الباريسية: «برد»، وفي نسخة بودليان: «بهرد».
(٢) الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ٢/ ٥٣٢، تاريخ الإسلام (٥٢٤ هـ.) ص٢٤.
(٣) في الأوربية: «تسع».
(٤) في الأوربية: «أربع».
(٥) في الأوربية: «وبنا».
(٦) في الأوربية: «فيكون».
(٧) في الأوربية: «كلّما».
(٨) أنظر عن وفاة الآمر بأحكام الله في: تاريخ الإسلام (٥٢٤ هـ.) ص٢٢، ٢٣ وقد حشدت الكثير من =

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّيت الخاتون ابنة السلطان سنجَر، وهي زوجة السلطان محمود[1].

وفيها قُتل بيْمُنْد الفرنجيُّ صاحب أنطاكية[2].

وفيها تُوُفّي نصير الدين محمود بن مؤيّد المُلْك بن نظام المُلْك، في شعبان. ببغداذ، ووقع الحريق في داره بعد وفاته، وفي حظائر الحطب، والسوق التُّتُشيّ، فذهب من الناس أموال كثيرة.

وفيها وَزَر الرئيس أبو الذُّواد المفرّج بن الحسن بن الصوفيّ لصاحب دمشق تاج الملوك[3].

وفيها كان الرصد بالدار السلطانيّة، شرقيّ بغداذ، تولاّه البديع الإصطرلابيّ، ولم يتمّ[4].

وفيها ظهر ببغداذ عقارب طيّارة ذوات شوكتَيْن، فنال الناسَ منها خوف شديد، وأذًى عظيم[5].

وفيها، في ذي الحجّة، خرج الملك مسعود بن محمّد من خُراسان، وكان عند عمّه السلطان سنجَر، ووصل إلى ساوة، ووقع الإرجاف أنّ عَزْمه على مخالفة أخيه السلطان محمود قويّ، وأنّ عمّه سنجَر أمره بذلك، فاستشعر السلطان محمود، وسار

= المصادر.

(1) تاريخ الإسلام (٥٢٤ هـ.) ص٢٤، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٠.

(2) تاريخ حلب ٣٨٢ (٤٥)، تاريخ الإسلام (٥٢٤ هـ.) ص٢٤.

(3) تاريخ حلب ٣٨٢ (٤٥) العبر ٤/ ٥٥، تاريخ الإسلام (٥٢٤ هـ.) ص٢٤.

(4) المختصر في أخبار البشر ٣/ ٤.

(5) تاريخ مختصر الدول ٢٠٣، مرآة الزمان ٨ ق ١/ ١٣٣، العبر ٤/ ٥٥، تاريخ الإسلام (٥٢٤ هـ.) ص٢٥ مرآة الجنان ٣/ ٢٣٠، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٠، عيون التواريخ ١٢/ ٢٠٧، الكواكب الدرية ٩٧، تاريخ الخميس ٢/ ٤٠٤. تاريخ الخلفاء ٤٣٥، شذرات الذهب ٤/ ٦٧، أخبار الدول ٢/ ١٧٢ (الطبعة الجديدة).

عن بغداذ إلى همذان، فلمّا وصل إلى كَرمانْشاهان وصل إليه أخوه الملك مسعود وخدمه، ولم يظهر للإرجاف أثر، فأقطعه السلطان مدينة كَنْجَةَ وأعمالها وسيّره إليها[١].

وفيها كانت زلزلة عظيمة، في ربيع الأوّل، بالعراق، وبلد الجبل، والموصل، والجزيرة، فخرّبت كثيراً[٢].

وفيها ملك السلطان محمود قلعة ألمُوت[٣].

[الوفيات]

وفيها توفّي إبراهيم بن عثمان بن محمّد أبو إسحاق الغَزيّ[٤] من أهل غزّة، مدينة بفلسطين من الشام، ومولده سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، وهو من الشعراء المُجيدين، فمن قوله من قصيدة يصف فيها الأتراك:

في فِتيةٍ من جُيوشِ التُرْكِ[٥] ما تركَتْ ... للرعدِ كرّاتُهم[٦] صَوتاً ولا صِيتَا
قومٌ إذا قُوبلوا كانوا ملائكةً ... حُسناً، وإن قُوتلوا كانوا عَفاريتَا[٧]

وله في الزهد:

إنّما هذه الحياة[٨] مَتاعٌ، ... والسّفيهُ الغَوِيُّ مَن يَصْطَفيها
ما مضى[٩] فَات والمؤمَّل غَيْبٌ ... ولك الساعة التي أنت فيها[١٠]

---

(١) نهاية الأرب ٢٧/ ٣٠.

(٢) المنتظم ١٠/ ١٤ (١٧/ ٢٥٦)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٣٢، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٠، كشف الصلصلة ١٨٣.

(٣) المختصر في أخبار البشر ٣/ ٤، العبر ٤/ ٥٥، تاريخ الإسلام (٥٢٤ هـ.) ص٢٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٦.

(٤) أنظر عن (الغزّي) في: تاريخ الإسلام (٥٢٤ هـ.) ص ٩٠ ـ ٩٥ رقم ٤٥.

(٥) في تاريخ الإسلام (٥٢٤ هـ.) ص٩٤ «وفتية من كماة الترك».

(٦) في تاريخ الإسلام (٥٢٤ هـ.) ص٩٤ «كنا نهم».

(٧) المنتظم ١٠/ ١٥، ١٦ (١٧/ ٢٥٧)، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٤، تاريخ الإسلام (٥٢٤ هـ.) ص٩٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٦.

(٨) في نسخة من المنتظم: «الدنيا».

(٩) في الأوربية: «مضا».

(١٠) المنتظم ١٠/ ١٦ (١٧/ ٢٥٨).

وفيها توفّي الحسين بن محمدّ بن عبد الوهّاب بن أحمد بن محمّد الدّبّاس[1] أبو عبد اللّه النحْويُّ، الشاعر، المعروف بالبارع، أخو أبي الكرم بن فاخر النحْويّ لأمّه، وُلد سنة سنة ثلاثٍ وأربعين وأربعمائة، وله شِعر مليح، فمنه قوله:

رُدّي علـيّ الكَـرَى ثـم اهجـري سَكَنـي — فقـد قنِعـتُ بطَيـفٍ منـكِ فـي الـوسَـنِ
لا تحسبي النَّوم قد أوشَكْتُ[2] أطلبُه، — إلاّ رجـاء خيـالٍ منـكِ يُـؤنسُنـي
تـركتِنـي والهـوى فـرداً أُغـالِبُـهُ، — ونـام ليلُـكِ عـن هـمٍّ يُـؤرّقنـي[3]

وهي طويلة.

وفيها توفّي هبة اللّه بن القاسم[4] بن محمّد بن عطا بن محمّد أبو سعد المِهْرَانيُّ[5]، النَّيسابوريُّ، ومولده سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وكان محدّثاً، حافظاً، صالحاً.

---

(١) أنظر عن (الدباس النحوي) في: المنتظم ١٠/١٦ ـ ١٩ ـ رقم ١٨ (١٧/٢٥٩ ـ ٢٦١ رقم ٣٩٦٠)، وتذكرة الحفاظ ١٢٧٤، والبداية والنهاية ١٢/٢٠١، وبغية الوعاة ١/٥٣٩ رقم ١١٢٣، وشذرات الذهب ٤/٦٩، وإنباه الرواة: ١/٣٢٨، ٣٢٩ رقم ٢١٩، وتلخيص ابن مكتوم ٦٣، وخريدة القصر ١/٨٥، ومعجم الأدباء: ١٠/١٤٧ ـ ١٥٤، وغاية النهاية ١/٢٥١، والنجوم الزاهرة ٥/٢٣٦، وروضات الجنان ٢٤٨، ٢٤٩ وذكر الذهبي وفاته في السنة التالية ٥٢٩ هـ. ـ ص ٢٧.

(٢) في الأوربية: «أوحشت»، وفي المنتظم: «مذ أوحشت».

(٣) المنتظم ١٠/١٧ (١٧/٢٥٩).

(٤) أنظر عن (هبة الله بن القاسم) في: تاريخ الإسلام (٥٢٤ هـ.) ص١٢٤، ١٢٥ رقم ٦٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) في طبعة صادر «المهرواني» وهو تصحيف، والتصحيح من الأنساب ١١/٢٣١ فقال: المهراني: بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الراء، وفي آخرها النون بعد الألف وهذه النسبة إلى مهران، وهو اسم لجدّ المنتسب.

(٥٢٥)
ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة

ذكر أسر دُبَيْس بن صدقة
وتسليمه إلى عماد الدين زنكي

في هذه السنة، في شعبان، أسر تاج الملوك بوري بن طُغتِكِين، صاحب دمشق، الأميرَ دُبَيْس بن صَدَقة، صاحب الحِلّة، وسلّمه إلى أتابك الشهيد زنكي بن آقسنقَر.

وسبب ذلك: أنّه لمّا فارق البصرة، على ما ذكرناه، جاءه قاصد من الشام، من صَرْخَد، يستدعيه إليها، لأنّ صاحبها كان خَصِيّاً، فتوفّي هذه السنة، وخلّف جارية سُرّيّة له، فاستولت على القلعة وما فيها، وعلمتْ أنّها لا يتمّ لها ذلك إلاّ بأن تتّصل برجلٍ له قوّة ونجدة، فوُصف لها دُبَيْس بن صدقة وكثرة عشيرته، وذُكر لها حاله، وما هو عليه بالعراق، فأرسلت تدعوه إلى صَرْخَد لتتزوّج[١] به، وتسلّم القلعة وما فيها من مالٍ وغيره إليه. فأخذ الأدلاء معه، وسار من أرض العراق إلى الشام، فضلّ به الأدلاء بنواحي دمشق، فنزل بناس من كلب كانوا شرقيّ الغُوطة، فأخذوه وحملوه إلى تاج الملوك، صاحب دمشق، فحبسه عنده.

وسمع أتابك عماد الدين زنكي الخبَر، وكان دُبَيْس يقع فيه وينال منه، فأرسل إلى تاج الملوك يطلب منه دُبَيْساً ليسلّمه إليه، ويُطلق ولدَهُ، ومن معه من الأمراء المأسورين، وإن امتنع من تسليمه سار إلى دمشق وحصرها وخرّبها ونهب بلدها، فأجاب تاج الملوك إلى ذلك، وأرسل أتابك سونَج بن تاج الملوك، والأمراء الذين معه، وأرسل تاج الملوك دُبَيْساً، فأيقن دُبَيْس بالهلاك، ففعل زنكي معه خلاف ما

---

(١) في الأوربية: «التزوج».

ظنّ، وأحسن إليه، وحمل له الأقوات، والسلاح والدوابّ وسائر أمتعة الخزائن، وقدّمه حتى على نفسه، وفعل معه ما يفعل أكابر الملوك[1].

ولمّا سمع المسترشد بالله بقبضه بدمشق أرسل سديدَ الدولة بن الأنباريّ، وأبا بكر بن بِشْر الجَزَريَّ، من جزيرة ابن عُمر، إلى تاج الملوك يطلب منه أن يسلّم دُبَيْساً إليه، لما كان متحقّقاً به من عداوة الخليفة، فسمع سديد الدولة ابن الأنباريّ بتسليمه إلى عماد الدين، وهو في الطريق، فسار إلى دمشق ولم يرجع وذمّ أتابك زنكي بدمشق، واستخفّ به، وبلغ الخبر عماد الدين، فأرسل إلى طريقه من يأخذه إذا عاد، فلمّا رجع من دمشق قبضوا عليه، وعل ابن بِشر، وحملوهما إليه، فأمّا ابن بشر فأهانه وجرى في حقّه مكروه، وأمّا ابن الأنباريّ فسجنه.

ثم إنّ المسترشد بالله شفع فيه فأُطلق، ولم يزل دُبَيْس مع زنكي حتّى انحدر معه إلى العراق، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود

في هذه السنة، في شوّال، توفّي السلطان محمود ابن السلطان محمّد بهَمَذان، وكان قبل مرضه قد خاف وزيره أبو القاسم الأنساباذيُّ من جماعة من الأمراء وأعيان الدولة، منهم: عزيز الدين أبو نصر بن حامد المستوفي، والأمير أنوشتكين المعروف بشيركير، وولده عمر، وهو أمير حاجب السلطان، وغيرهم، فأمّا عزيز الدين فأرسله مقبوضاً عليه إلى مجاهد الدين بهروز بتكريت، ثم قُتل بها، وأمّا شيركير وولده فقُتلا في جُمادى الآخرة.

ثم إنّ السلطان مرض وتوفيّ في شوّال، وأُقعد ولده الملك داود في السلطنة باتّفاق من الوزير أبي القاسم وأتابكه آقسنقَر الأحمديليّ، وخُطب له في جميع بلاد الجبل وأذربيجان، ووقعت الفتنة بهمَذان وسائر بلاد الجبل، ثم سكنت، فلمّا اطمأنّ الناس وسكنوا سار الوزير بأمواله إلى الرّيّ، فأمِن فيها حيث هي للسلطان سنجَر.

وكان عمر السلطان محمود لمّا تُوفيّ نحو سبع وعشرين سنة، وكانت ولايته

---

(١) المنتظم: ١٠/ ٢٠ (١٧/ ٢٦٣)، بغية الطلب (قسم تراجم السلاجقة) ٢٣١، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٥، دول الإسلام ٢/ ٤٧، تاريخ الإسلام (٥٢٥ هـ.) ص٢٦، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٢، عيون التواريخ ١٢/ ٢٢٢، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٣٥.

للسلطنة اثنتي عشرة[1] سنة وتسعة أشهر وعشرين يوماً، وكان حليماً، كريماً، عاقلاً، يسمع ما يكره ولا يعاقب عليه، مع القدرة، قليل الطمع في أموال الرعايا، عفيفاً عنها، كافّاً لأصحابه عن التطرّق إلى شيء منها[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ثارالباطنيّة بتاج الملوك بوري طُغتِكين، صاحب دمشق، فجرحوه جرحَيْن، فبرأ أحدهما، وتنسّر[3] الآخر، وبقي فيه ألمه، إلاّ أنّه يجلس للناس، ويركب معهم على ضَعف فيه[4].

[الوفيات]

وفيها توفّي الأمير أبو الحسن بن المستظهر باللّه أخو المسترشد باللّه في رجب[5]. وفيها، في شوّال، توفّي الحسن بن سلمان[6] بن عبد اللّه أبو عليّ الفقيه الشافعيُّ الواعظ، مدّرس النظاميّة ببغداذ، وأصله من الزَّوْزان[7].

والخطيب أبو نصر أحمد بن عبد القاهر المعروف بابن الطُّوسيّ[8]، خطيب الموصل، توفّي في ربيع الأوّل.

وحمّاد بن مُسلّم[9] الدبّاس الرَّحْبيّ الزاهد المشهور، صاحب الكرامات، وسمع

---

(١) في الأوربية: «عشر».

(٢) المنتظم ١٠/ ٢٠، ٢١ (١٧/ ٢٦٤)، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٥، ذيل تاريخ دمشق ٢٣٠، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٣٦.

(٣) في الأوربية: «فتنسّر».

(٤) ذيل تاريخ دمشق ٢٢٩، ٢٣٠، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٥، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٣٦.

(٥) المنتظم ١٠/ ٢٣ رقم ٢٦ (١٧/ ٢٦٧ رقم ٣٩٦٩)، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٣.

(٦) أنظر عن (الحسن بن سلمان) في: المنتظم ١٠/ ٢٢ رقم ٢٤، ١٧/ ٢٦٦ رقم ٣٩٦٧، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٠٢، وفيه: «الحسن بن سليمان».

(٧) الزوزان: بفتح أوله وثانيه ثم زاي أخره نون. كورة حسنة بين جبال أرمينية وبين أخلاط وأذربيجان وديار بكر والموصل، وأهلها أرمن، وفيها طوائف من الأكراد. (معجم البلدان ٣/ ١٥٨).

(٨) أنظر عن (ابن الطوسي) في: المنتظم ١٠/ ٢١ ٢٢ رقم ٢٣ (١٧/ ٢٦٥، ٢٦٦، رقم ٣٩٦٦)، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٢، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٣٧، ١٣٨.

(٩) أنظر عن (حمّاد بن مسلم) في: تاريخ الإسلام (٥٢٥ هـ.) ص ١٢٨ ـ ١٣٠ رقم ٧٠ وفيه مصادر =

الحديث، وله أصحاب وتلامذة كثيرون[1] ساروا، ورأيتُ الشيخ أبا الفرج بن الجوزيّ[2] قد ذمّه وثَلَبَه، ولهذا الشيخ أُسوة بغيره من الصالحين، فإنّ ابن الجوزيّ قد صنّف كتاباً سمّاه «تلبيس إبليس» لم يُبقِ فيه على أحدٍ من سادة المسلمين وصالحيهم.

وهبة اللّه بن محمد بن عبد الواحد بن الحُصَين[3] الشيباني الكاتب، ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، سمع أبا عليّ بن المهذّب، وأبا طالب بن غَيْلان وغيرهما، وهو راوي «مُسْنَد» أحمد بن حَنْبَل، و«الغيلانيات»[4] وغيرهما.

ومحمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن أبو غالب الماوَرْديُّ[5]. وُلد سنة خمسين وأربعمائة بالبصرة، وسمع الحديث الكثير، وروى «سُنن» أبي داود السِّجِسْتانيّ، وكان صالحاً.

= ترجمته.

(١) في نسخة بودليان: «وتلاميذ كثير».

(٢) في مرآة الزمان ج ٨ ق ١/١٣٨ ـ ١٣٩.

(٣) أنظر عن (ابن الحصين) في: تاريخ الإسلام (٥٢٥ هـ.) ص١٣٧ ـ ١٣٩ رقم ٨٣ وفيه «هبة الله بن محمود» وهو خطأ. وانظر فيه مصادر ترجمته.

(٤) في الأوربية: «والغيلانات».

(٥) أنظر عن «الماوردي» في: تاريخ الإسلام (٥٢٥ هـ.) ص ١٣٥ ـ ١٣٦ رقم ٨٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٥٢٦)

ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة

ذكر قتل أبي عليّ وزير الحافظ ووزارة يانس وموته

في هذه السنة، في المحرّم، قُتل الأفضل أبو عليّ بن الأفضل بن بدر الجماليّ وزير الحافظ لدين اللّه العلويّ، صاحب مصر.

وسبب قتله: أنّه كان قد حَجَر على الحافظ، ومنعه أن يحكم في شيء من الأمور، قليل أو جليل، وأخذ ما في قصر الخلافة إلى داره، وأسقط من الدعاء ذِكر إسماعيل الذي هو جدّهم، وإليه تُنسب الإسماعيليّة، وهو ابن جعفر بن محمّد الصادق، وأسقط من الأذان «حيّ على خير العمل»، ولم يخطب للحافظ، وأمر الخطباء أن يخطبوا له بألقاب كتبها لهم، وهي: السيّد الأفضل الأجلّ، سيّد مماليك أرباب الدول، والمحامي عن حَوزة الدين، وناشر جناح العدل على المسلمين الأقربين والأبعدين، ناصر إمام الحقّ في حالتَيْ غيبته وحضوره، والقائم بنصرته بماضي سيفه وصائب رأيه وتدبيره، أمين اللّه على عباده، وهادي القُضاة إلى اتّباع شرع الحقّ واعتماده، ومُرشد دُعاة المؤمنين بواضح بيانه وإرشاده، مولى النِعم، ورافع الجور عن الأمم، ومالك[1] فضيلتيَ السيف والقلم، أبو عليّ أحمد بن السيّد الأجلّ الأفضل، شاهنشاه أمير الجيوش.

وكان إماميّ المذهب، يُكثر ذمّ الآمر، والتناقص به، فنفرت منه شيعة العلويّين ومماليكهم، وكرهوه، وعزموا على قتله، فخرج في العشرين من المحرّم من هذه السنة إلى الميدان يلعب بالكرة مع أصحابه، فكمن له جماعة منهم مملوك فرنجيّ كان للحافظ، فخرجوا عليه، فحمل الفرنجيُّ عليه، فطعنه فقتله، وحزّوا رأسه، وخرج الحافظ من الخزانة التي كان فيها، ونهب الناس دار أبي عليّ، وأُخذ منها ما لا

(١) في الأوربية: «وملك».

يُخصى، وركب الناس والحافظ إلى داره، فأخذ ما بقي فيها وحمله إلى القصر.

وبويع يومئذٍ الحافظ بالخلافة، وكان قد بويع له بولاية العهد، وأن يكون كافلاً لحمل إن كان للآمر، فلمّا بويع بالخلافة استوزر أبا الفتح يانس الحافظيَّ في ذلك اليوم بعينه، ولُقّب أمير الجيوش، وكان عظيم الهيبة، بعيد الغور، كثير الشّر، فخافه الحافظ على نفسه؛ وتخيّل منه يانس، فاحتاط. ولم يأكل عنده شيئاً، ولا شرب، فاحتال عليه الحافظ بأن وضع له فرّاشُه في بيت الطهارة ماء مسموماً، فاغتسل به، فوقع الدود في سفله، وقيل له: متى قمتَ من مكانك هلكتَ، فكان يعالجَ بأن يجعل اللحم الطريّ في المحلّ، فيعلق به الدود فيخرج ويجعل عوضه، فقارب الشفاء، فقيل للحافظ: إنّه قد صلح، وإن تحرّك هلك؛ فركب إليه الحافظ كأنّه يعوده، فقام له ومشى[1] إلى بين يدَيْه، وقعد الحافظ عنده، ثم خرج من عنده، فتوفّي من ليلته، وكان موته في السادس والعشرين من ذي الحجّة من هذه السنة[2].

ولمّا مات يانس استوزر الحافظ ابنه حَسَناً، وخطب له بولاية العهد، وسيرِد ذِكر قتْله سنة تسعٍ وعشرين [وخمسمائة][3].

وإنّما ذكرتُ ألقاب أبي عليّ تعجّباً منها، ومن حماقة ذلك الرجل، فإن وزير صاحب مصر وحدها إذا كان هكذا فينبغي أن يكون وزير السلاطين السلجوقيّة كنظام المُلك وغيره يدّعون الربوبيّة، على أنّ تربة مصر هكذا تولد، ألا ترى إلى فرعون يقول: ﴿أنا ربُّكُمُ الأعْلَى﴾[4]، وإلى أشياء أُخر لا نطيل ذكرها[5].

ذكر حال السلطان مسعود والملكين سلجوقشاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود

لمّا توفّي السلطان محمود ابن السلطان محمّد، وخُطب، ببلاد الجبل وأَذَرْبِيجان، لولده الملك داود، على ما ذكرناه، سار الملك داود من همَذان في ذي

---

(١) في الأوربية: «ومشا».

(٢) أنظر عن قتل ابن الأفضل في: تاريخ الإسلام (٥٢٦ هـ.) ص١٤٠، ١٤١ رقم ٨٤ وفيه مصادره.

(٣) تاريخ الإسلام (٥٢٥ هـ.) ص١٤١.

(٤) سورة النازعات، الآية ٢٣.

(٥) في الأوربية: «نطول بذكرها».

القعدة من سنة خمسٍ وعشرين [وخمسمائة] إلى زَنْجَان، فأتاه الخبر أنّ عمّه السلطان مسعوداً[1] قد سار من جُرجان ووصل إلى تِبريز واستولى عليها، فسار الملك داود إليه وحصره بها، وجرى بينهما قتال، إلى سلخ المحرّم سنة ستّ وعشرين [وخمسمائة]، ثم اصطلحا.

وتأخّر الملك داود مرحلة، وخرج السلطان مسعود من تِبريز، واجتمعت عليه العساكر، وسار إلى هَمَذان، وأرسل يطلب الخطبة ببغداذ، وكانت رسل الملك داود قد تقدّمت في طلب الخطبة، فأجاب المسترشد بالله أنّ الحكم في الخطبة إلى السلطان سنجَر من أراد خُطب له، وأرسل إلى السلطان سنجَر أن لا يأذَن لأحدٍ في الخطبة، فإنّ الخطبة ينبغي أن تكون له وحده، فوقع ذلك منه موقعاً حسناً.

ثم إنّ السلطان مسعوداً[2] كاتب عمّاد الدين زنكي، صاحب الموصل وغيرها، يستنجده، ويطلب مساعدته، فوعده النصر، فقويت بذلك نفس مسعود على طلب السلطنة.

ثم إنّ الملك سَلْجوقشاه ابن السلطان محمّد سار أتابكه قراجة[3] الساقي، صاحب فارس وخُوزستان في عسكر كثير إلى بغداذ، فوصل إليها قبل وصول السلطان مسعود، ونزل في دار السلطان، وأكرمه الخليفة، واستحلفه لنفسه.

ثم وصل رسول السلطان مسعود يطلب الخطبة، ويتهدّد إنْ منعها، فلم يُجب إلى ما طلبه، فسار حتّى نزل عبّاسيّة[4]، الخالص، وبرز عسكر الخليفة وعسكر سلجوقشاه وقراجة الساقي نحو مسعود إلى أن يفرغ من حرب أتابك عماد الدين زنكي، وسار يوماً[5] وليلة إلى المعشوق، وواقع عماد الدين زنكي فهزمه، وأسر كثيراً من أصحابه، وسار زنكي منهزماً إلى تكريت، فعبر فيها دجلة، وكان الدزدار بها حينئذٍ نجم الدين أيّوب، فأقام له المعابر، فلمّا عبر أمِن الطلب، وسار إلى بلاده لإصلاح حاله وحال رجاله، وهذا الفعل من نجم الدين أيّوب كان سبباً لاتّصاله به والمصير في

---

(١) في الأوربية: «مسعود».

(٢) في الأوربية: «مسعود».

(٣) في المنتظم: «قراجا» وكذا في: المختصر لأبي الفداء.

(٤) في الباريسية ونسخة بودليان: «عاسه».

(٥) في الأوربية: «يوم».

جملته، حتّى آل بهم الأمر إلى مُلْك مصر والشام وغيرهما[1] على ما نذكره.

وأمّا السلطان مسعود فإنّه سار من العَبّاسيّة إلى الملكيّة، ووقعت الطلائع بعضها على بعض، ثم لم تزل المناوشة تجري بينه وبين أخيه سلجوقشاه يومَيْن.

وأرسل سلجوقشاه إلى قراجة يستحثّه على المبادرة، فعاد سريعاً وعبر دجلة إلى الجانب الشرقيّ، فلمّا علم السلطان مسعود بانهزام عماد الدين زنكي رجع إلى ورائه، وأرسل إلى الخليفة يعرّفه وصول السلطان سنجَر إلى الرَّيّ، وأنّه عازم [على] قصد الخليفة وغيره، وإن رأيتم أن نتّفق على قتاله ودَفْعه عن العراق، ويكون العراق لوكيل الخليفة، فأنا موافق على ذلك. فأعاد الخليفة الجواب يستوقفه.

وتردّدت الرسل في الصُّلح، فاصطلحوا على أن يكون العراق لوكيل الخليفة، وتكون السلطنة لمسعود، ويكون سلجوقشاه وليّ عهده، وتحالفوا على ذلك، وعاد السلطان مسعود إلى بغداذ، فنزل بدار السلطان، ونزل سلجوقشاه في دار الشِحنكيّة، وكان اجتماعهم في جُمادى الأولى[2].

ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمّه السلطان سنجر

لمّا توفّي السلطان محمود سار السلطان سنجَر إلى بلاد الجبال، ومعه الملك طُغْرُل ابن السلطان محمّد، وكان عنده قد لازمه، فوصل إلى الرَّيّ، ثم سار منها إلى همَذان، فوصل الخبر إلى الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بوصوله إلى همَذان، فاستقرّت القاعدة بينهما على قتاله، وأن يكون الخليفة معهم، وتجهز الخليفة، فتقدّم قراجة[3] الساقي، والسلطان مسعود، وسلجوقشاه نحو السلطان سنجَر، وتأخّر المسترشد بالله عن المسير معهم، فأرسل إلى قراجة، وألزمه، وقال: إنّ الذي تخاف من سنجَر آجلاً أنا أفعله عاجلاً. فبرز حينئذٍ وسار على تريّث، وتوقّف إلى أن بلغ إلى خانقين وأقام بها.

وقُطعت خطبة سنجَر من العراق جميعه، ووصلت الأخبار بوصول عماد الدين

---

(1) في الأوربية: «وغيرها».

(2) المنتظم ١٠/ ٢٥ (١٧/ ٢٧٠)، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٦.

(3) في المنتظم، والمختصر: «قراجا».

زنكي ودُبيس بن صدقة إلى قريب بغداذ، فأمّا دُبَيْس فإنّه ذكر أنّ السلطان سنجَر أقطعه الحِلّة، وأرسل إلى المسترشد بالله يضرع ويسأل الرضا عنه، فامتنع من إجابته إلى ذلك.

وأمّا عماد الدين زنكي فإنه ذكر أنّ السلطان سنجَر قد أعطاه شِحنكيّة بغداذ، فعاد المسترشد بالله إلى بغداذ، وأمر أهلها بالاستعداد للمدافعة عنها، وجنّد أجناداً جعلهم معهم.

ثم إنّ السلطان مسعوداً[1] وصل إلى دادمرج، فلقيتهم طلائع السلطان سنجَر في خلق كثير، فتأخّر السلطان مسعود إلى كَرامانشاهان، ونزل السلطان سنجَر في أسداباذ في مائة ألف فارس، فسار مسعود وأخوه سلجوقشاه إلس جَبَلَيْن يقال لهما: كاو، وماهي، فنزلا بينهما، ونزل السلطان سنجَر كِنْكوَر، فلمّا سمع بانحرافهم أسرع في طلبهم، فرجعوا إلى ورائهم مسيرة أربعة أيّام في يوم وليلة، فالتقى العسكران بعُولان، عند الدِّينَوَر، وكان مسعود يدافع الحرب انتظاراً لقدوم المسترشد، فلمّا نازله السلطان سنجَر لم يجدْ بُدّاً من المصافّ، وجعل سنجَر على ميمنته طُغْرلَ ابن أخيه محمّد، وقماج، وأمير أميران، وعلى ميسرته خُوارزمشاه أتسِز بن محمّد مع جمع من الأمراء، وجعل مسعود على ميمنته قراجة الساقي، والأمير قَزل، وعلى ميسرته يرنقش بازدار، ويوسف جاووش، وغيرهما، وكان قزل قد واطأ سنجَر على الإنهزام.

ووقعت الحرب، وقامت على ساقٍ: وكان يوماً مشهوداً، فحمل قراجة الساقي على القلب، وفيه السلطان سنجَر في عشرة آلاف فارس من شجعان العسكر، وبين يدَيْه الفِيَلة، فلمّا حمل قراجة على القلب، رجع الملك طُغْرُل، وخُوارزمشاه إلى وراء ظهره، فصار قراجة في الوسط، فقاتل إلى أن جُرِح عدّة جراحات، وقُتل كثير من أصحابه، وأُخذ هو أسيراً وبه جراحات كثيرة، فلمّا رأى السلطان مسعود ذلك انهزم وسلم من المعركة، وقُتل يوسف جاووش، وحسين أزبك، وهما من أكابر الأمراء، وكانت الوقعة ثامن رجب من هذه السنة.

فلمّا تمّت الهزيمة على مسعود نزل سنجَر وأحضر قراجة، فلمّا حضر قراجة سبّه وقال له: يا مفسد أيّ شيء كنتَ ترجو بقتالي؟ قال: كنتُ أرجو أن أقتلك وأُقيم

---

(١) في الأوربية: «مسعود».

سلطاناً أحكم عليه. فقتله صبراً، وأرسل إلى السلطان مسعود يستدعيه، فحضر عنده، وكان قد بلغ خونج، فلما رآه قبّله، وأكرمه، وعاتبه على العصيان عليه، ومخالفته، وأعاده إلى كَنْجَة، وأجلس الملك طُغْرل ابن أخيه محمد في السلطنة، وخطب له في جميع البلاد، وجعل في وزارته أبا القاسم الأنساباذيَّ، وزير السلطان محمود، وعاد إلى خُراسان، فوصل إلى نَيسابور في العشرين من رمضان سنة ستّ وعشرين [وخمسمائة][1].

وأما المسترشد بالله فكان منه ما سنذكره.

ذكر مسير عماد الدين زنكي إلى بغداذ وانهزامه

لمّا سار المسترشد باللّه من بغداذ، وبلغه انهزام السلطان مسعود، عزم على العود إلى بغداذ، فأتاه الخبر بوصول عماد الدين زنكي إلى بغداذ، ومعه دُبَيْس بن صدقة، وكان السلطان سنجَر قد كاتبهما، وأمرهما بقصد العراق، والاستيلاء عليه، فلمّا علم الخليفة بذلك أسرع العَود إليها، وعبر إلى الجانب الغربيّ، وسار فنزل بالعبّاسيّة، ونزل عماد الدين بالمَناريّة من دُجَيْل، والتقيا بحصن البرامكة، في السابع والعشرين من[2] رجب، فابتدأ زنكي فحمل على ميمنة الخليفة، وبها جمال الدولة إقبال، فانهزموا منه، وحمل نظر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودُبَيْس، وحمل الخليفة بنفسه، واشتدّ القتال، فانهزم دُبَيْس، وأراد عماد الدين الصبر، فرأى الناس قد تفرّقوا عنه، فانهزم أيضاً، وقُتل من العسكر جماعة، وأُسر جماعة، وبات الخليفة هناك ليلته، وعاد من الغد إلى بغداذ[3].

---

(١) أنظر خبر الحرب في التاريخ الباهر ٤٤، ٤٥، والمنتظم ١٠/ ٢٥، ٢٦ (١٧/ ٢٧٠ ـ ٢٧١)، وزبدة النصرة للبنداري ١٥٨، ١٥٩، وراحة الصدور للراوندي ٢٠١، وزبدة التواريخ ١٩٩، ودول الإسلام ٢/ ٤٧، ٤٨، وتاريخ الإسلام (٥٢٦ هـ.) ص٣٠، ٣١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٧، ٣٨، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٥٠، وتاريخ ابن سباط (بتحقيقنا) ١/ ٥١، وشذرات الذهب ٤/ ٧٧، ونهاية الأرب ٢٧/ ٣٥، ٣٧.

(٢) في الأوربية: «في سابع وعشرين».

(٣) المنتظم ١٠/ ٢٥، ٢٦ (١٧/ ٢٧٠ ـ ٢٧١)، التاريخ الباهر ٤٤، ٤٥، زبدة النصرة للبنداري ١٥٨، ١٥٩، راحة الصدور للراوندي ٢٠١، زبدة التواريخ للحسيني ١٩٩، دول الإسلام ٢/ ٤٧، ٤٨، تاريخ الإسلام (٥٢٦ هـ.) ص٣١، العبر ٤/ ٦٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٨، مرآة الجنان ٣/ ٢٥٠، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٣، عيون التواريخ ١٢/ ٢٥٠، تاريخ ابن سباط ١/ ٥٢.

ذكر حال دُبَيْس بعد الهزيمة

وفيها عاد دُبَيْس، بعد انهزامه المذكور، يلوذ ببلاد الحِلّة وتلك النواحي، وجمع جمعاً، وكانت تلك الولاية بيد إقبال المسترشديّ، فأُمدّ بعسكر من بغداذ، فالتقى هو ودُبَيْس، فانهزم دُبَيْس واختفى في أجمةٍ هناك، وبقي ثلاثة أيّام لم يطعم شيئاً، ولم يقدر على التخلّص منها، حتّى أخرجه جمّاس[1] على ظهره.

ثم جمع جمعاً وقصد واسط، وانضمّ إليه عسكرها، وبختيار وشاق، وابن أبي الجبر، ولم يزل فيها إلى أن دخلت سنة سبعٍ وعشرين [وخمسمائة]، فنفذ إليهم يرنقش بازدار، وإقبال الخادم المسترشديّ، في عَسكر، فاقتتلوا في الماء والبرّ، فانهزم الواسطيّون ودُبَيْس، وأسر بختيار وشاق وغيره من الأمراء[2].

ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق

في هذه السنة، في رجب، تُوفّي تاج الملوك بوري بن طُغتِكين، صاحب دمشق.

وسبب موته أنّ الجرح الذي كان به من الباطنيّة، وقد ذكرناه، اشتدّ عليه الآن، وأضعفه، وأسقط قوّته، فتوفّي في الحادي والعشرين من رجب، ووصّى بالمُلْك بعده لولده شمس الملوك إسماعيل، ووصّى بمدينة بعلبكّ وأعمالها لولده شمس الدولة محمّد.

وكان بوري كثير الجهاد، شجاعاً، مقداماً، سدّ مسدّ أبيه، وفاق عليه، وكان مُمدَّحاً، أكثر الشعراء مدائحه، لا سيّما ابن الخيّاط، وملك بعده ابنه شمس الملوك، وقام بتدبير الأمر بين يدَيْه الحاجب يوسف بن فيروز، شِحنة دمشق، وهو حاجب أبيه، واعتمد عليه، وابتدأ أمره بالرفق بالرعيّة، والإحسان إليهم، فكثُر الدعاء له والقُصّاد عليه[3].

---

(١) في طبعة صادر ٦٧٩/١٠ «حمّاس» بالحاء المهملة. والتصحيح من الباريسية وبودليان.
(٢) المنتظم ٢٧/١٠ (٢٧١/١٧) تاريخ الإسلام (٥٢٦ هـ.) ص ٣٢.
(٣) أنظر عن (بوري) في: ذيل تاريخ دمشق ٢٣٣، ٢٣٤، ونهاية الأرب ٨١/٢٧، والمختصر في أخبار البشر ٦/٣ وفيه «توري» وهو تصحيف، وتاريخ ابن سباط ٥٢/١، مرآة الزمان ج ٨ ق ١٤٣/١.

ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن راس وحصره بعلبكّ

في هذه السنة ملك شمس الملوك إسماعيل، صاحب دمشق، حصن اللّبْوة، وحِصن راس.

وسبب ذلك: أنّهما كانا لأبيه تاج الملوك، وفي كلّ واحدٍ منهما مستحفظ يحفظه[١]، فلمّا ملك شمس الدين بلغه أنّ أخاه شمس الدولة محمّداً[٢]، صاحب بعلبكّ، قد راسلهما، واستمالهما إليه، فسلّما الحصنَيْن إليه، وجعل فيهما من الجُند ما يكفيهما، فلم يظهر بذلك أثر بل راسل أخاه بلُطفٍ يقبّح هذه الحال، ويطلب أن يعيدهما إليه، فلم يفعل، فأغضى على ذلك، وتجهّز من غير أن يُعلم أحداً.

وسار هو وعسكره، آخر ذي القعدة، فطلب جهة الشمال، ثم عاد مغرّباً، فلم يشعر مَن بحصن اللّبْوة إلاّ وقد نزل عليهم، وزحف لوقته، فلم يتمكنّوا من نصب[٣] منجنيق ولا غيره، فطلبوا الأمان، فبذله لهم، وتسلّم الحصن من يومه وسار من آخر النهار إلى حصن راس، فبغتهم، وجرى الأمر فيه على تلك القضيّة، وتسلّمه، وجعل فيهما من يحفظهما[٤].

ثم رحل إلى بَعْلَبَكّ وحصرها، وفيها أخوه شمس الدولة محمّد، وقد استعدّ وجمع في الحصن ما يحتاج إليه من رجال وذخائر، فحصرهم شمس الملوك، وزحف في الفارس والراجل، وقاتله أهل البلد على السور، ثم زحف عدّة مرّات، فملك البلد بعد قتال شديد، وقتلى كثيرة، وبقي الحصن، فقاتله، وفيه أخوه، ونصب المجانيق[٥]، ولازم القتال، فلمّا رأى أخوه شمس الدولة شدّة الأمر أرسل يبذل الطاعة، ويسأل أن يُقَرّ على ما بيده، وجعله أبوه باسمه، فأجابه إلى مطلوبه، وأقرّ عليه بعلبكّ وأعمالها، وتحالفوا، وعاد شمس الملوك إلى دمشق وقد استقامت له الأمور[٦].

---

(١) في الأوربية: «يحفظها».
(٢) في الأوربية: «محمد».
(٣) في الأوربية: «النصب».
(٤) في الأوربية: «يحفظها».
(٥) في الأوربية: «المناجيق».
(٦) ذيل تاريخ دمشق ٢٣٥، المختصر في أخبار البشر ٣/٧.

ذكر الحرب بين السلطان طُغرل والملك داود

في هذه السنة، في رمضان، كانت الحرب بين الملك طُغْرل وبين ابن أخيه الملك داود بن محمود، وكان سببها: أنّ السلطان سنجَر أجلس الملك طُغرل في السلطنة، كما ذكرناه، وعاد إلى خُراسان لأنّه بلغه أنّ صاحب ما وراء النهر أحمد خان قد عصى[1] عليه، فبادر إلى العُود لتلافي ذلك الخرق، فلمّا عاد إلى خراسان عصى الملك داود على عمّه طُغْرل، وخالفه، وجمع العساكر بأذَرْبيجان، وبلاد كَنْجَة، وسار إلى هَمَذان، فنزل مستهل رمضان، عند قرية يقال لها وهمان، بقرب همذان.

وخرج[2] إليه طُغرل، وعبّأ كلّ واحد منهما[3] أصحابه ميمنة وميسرة، وكان على ميمنة السلطان طُغْرل بن بُرسق، وعلى ميسرته قزل، وعلى مقدّمته قراسنُقر، وكان على ميمنة داود يرنقش الزكويّ، ولم يقاتل، فلمّا رأى التركمان ذلك نهبوا خِيَمه، وبركه جميعه، ووقع الخُلْف في عسكر داود، فلمّا رأى أتابكه آقسنقَر الأحمديليّ ذلك ولّى هرباً، وتبِعه الناس في الهزيمة، وقبض طُغْرل على يرنقش الزكويّ، وعلى جماعة من الأُمراء.

وأمّا الملك داود فإنّه لمّا انهزم بقي متحيّراً إلى أوائل ذي القعدة، فقدِم بغداذ ومعه أتابكه آقسنقَر الأحمديليّ، فأكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان، وكان الملك مسعود بكَنْجَة، فلمّا سمع بانهزام الملك داود توجّه نحو بغداذ، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى[4].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قبض المسترشد باللّه على وزيره شرف الدين عليّ بن طِراد الزينبيّ، واستوزر أنوشِروان بن خالد، بعد أن امتنع، وسأل الإقالة[5].

---

(١) في الأوربية: «عصا».

(٢) من بودليان.

(٣) في الأوربية: «منه».

(٤) المنتظم ١٠/٢٦ (١٧/٢٧١)، تاريخ دولة آل سلجوق ١٤٥، المختصر في أخبار البشر ٣/٧، نهاية الأرب ٢٧/٣٧، العبر ٤/٦٧، عيون التواريخ ١٢/٢٥٠، البداية والنهاية ١٢/٢٠٢.

(٥) الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢١٧، المنتظم ١٠/٢٦ (١٧/٢٧١)، تاريخ الإسلام (٥٢٦ هـ.) ص٣٢، =

وفي هذه السنة قُتل أحمد بن حامد بن محمّد أبو نصر مستوفي السلطان محمود، الملقّب بالعزيز، بقلعة تَكريت[(١)]، وقد تقدّم سبب ذلك سنة خمسٍ وعشرين [وخمسمائة].

وفي المحرّم منها قُتل محمّد بن محمّد بن الحسين أبو الحسين بن أبي يعلى بن الفرّاء الحنبليّ، مولده في شعبان سنة إحدىٰ وخمسين وأربعمائة، وسمع الحديث من الخطيب أبي بكر، وابن الحسين بن المهتدي، وغيرهما، وتفقّه، قتله أصحابه غيلةً، وأخذوا ماله[(٢)].

وفي جُمادى الأولى توفّي أحمد بن عُبيد اللّه بن كادش[(٣)] أبو العزّ العُكبريُّ، وكان محدّثاً مكثراً.

وتوفّي فيها أبو الفضل عبد اللّه بن المظفّر[(٤)] ابن رئيس الرؤساء، وكان أديباً، وله شِعر حَسَن، فمنه ما كتبه إلى جلال الدين بن صَدَقة الوزير:

أمولانا جلالَ الدين، يا مَن ... أُذكّرُهُ بخدمتيَ القَديمَهْ
ألم تكُ قد عَزَمتَ على اصطِناعي، ... فماذا صَدَّ عن تلكَ العَزِيمه

= البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٤، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٤٠.

(١) المنتظم ١٠/ ٢٨ رقم ٣٣ (١٧/ ٢٧٢ رقم ٣٩٧٦).

(٢) المنتظم ١٠/ ٢٩ رقم ٣٧ (١٧/ ٢٧٤ رقم ٣٩٨٠)، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٤، شذرات الذهب ٤/ ٧٩.

(٣) أنظر عن (ابن كادش) في: تاريخ الإسلام (٥٢٦ هـ.) ص١٤١ ـ١٤٣ رقم ٨٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) أنظر عن (عبد الله بن المظفّر) في: المنتظم ١٠/ ٢٨ رقم ٣٦، وفي الطبعة الجديدة ١٧/ ٢٧٣ رقم ٣٩٧٩ «عبيد الله».

(٥٢٧)
ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة

ذكر ملْك شمس الملوك بانياس

في هذه السنة، في صفر، ملك شمس الملوك، صاحب دمشق، حصن بانياس من الفرنج.

وسبب ذلك: أنّ الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه، وعزموا على نقض الهدنة التي بينهم، فتعرّضوا إلى أموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت وأخذوها، فشكا التجار إلى شمس الملوك، فراسل في إعادة ما أخذوه، وكرّر القول فيه، فلم يردّوا شيئاً، فحملته[١] الأنفَة من هذه الحالة، والغيظ، على أنْ جمع عسكره وتأهّب، ولا يعلم أحد أين يريد.

ثم سار، وسبق خبرَهُ، أواخر المحرّم من هذه السنة، ونزل على بانياس أوّل صفر، وقاتلها[٢] لساعته، وزحف إليها[٣] زحفاً متتابعاً، وكانوا غير متأهّبين، وليس فيها[٤] من المقاتلة من يقوم بها[٥] وقرب من سور المدينة، وترجّل بنفسه، وتبعه الناس من الفارس والراجل، ووصلوا إلى السور فنقبوه ودخلوا البلد عَنْوةً، والتجأ من كان من جُند الفرنج إلى الحصن وتحصّنوا به، فقُتل من البلد كثير من الفرنج، وأُسر كثير[٦]، ونُهبت الأموال، وقاتل القلعة قتالاً شديداً ليلاً ونهاراً، فملكها رابع صفر

---

(١) في الأوربية: «فحمله».
(٢) في الأوربية: «وقاتله».
(٣) في الأوربية: «إليه».
(٤) في الأوربية: «فيه».
(٥) في الأوربية: «به».
(٦) في الأوربية: «كثيراً».

بالأمان، وعاد إلى دمشق فوصلها سادسه.

وأمّا الفرنج فإنّهم لمّا سمعوا نزوله على بانياس شرعوا يجمعون عسكراً يسيرون به إليه، فأتاهم خبر فتحها، فَبَطَلَ ما كانوا فيه[1].

ذكر حرب بين المسلمين والفرنج

في هذه السنة، في صفر، سار ملك الفرنج. صاحب البيت المقدّس، في خيّالته ورجّالته إلى أطراف أعمال حلب، فتوجّه إليه الأمير أسوار[2]، النائب بحلب، في مَن عنده من العسكر، وانضاف إليه كثير من التركمان، فاقتتلوا عند قِنَّسْرين، فقُتل من الطائفتَيْن جماعة كثيرة، وانهزم المسلمون إلى حلب، وتردّد ملك الفرنج في أعمال حلب، فعاد أسوار وخرج إليه فيمن معه من العسكر، فوقع على طائفةٍ منهم، فأوقع بهم، وأكثر القتل فيهم والأسر، فعاد من سلم منهزماً إلى بلادهم، وانجبر ذلك المصاب بهذا الظَفر، ودخل أسوار حلب، ومعه الأسرى، ورؤوس القتلى، وكان يوماً مشهوداً[3].

ثم إنّ طائفة من الفرنج من الرُّها قصدوا أعمال حلب للغارة عليها، فسمع بهم أسوار، فخرج إليهم هو والأمير حسّان البعلبكّيّ، فأوقعوا بهم، وقتلوهم عن آخرهم في بلد الشمال، وأسروا من لم يُقْتَل، ورجعوا إلى حلب سالمين[4].

ذكر عَود السلطان مسعود إلى السلطنة وانهزام الملك طُغْرُل

قد تقدّم ذكر انهزام السلطان مسعود من عمّه السلطان سنجَر، وعَوده إلى كَنْجَةَ،

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ٢٣٦، مرآة الزمان ج ٨ ق ١٤٥/١، نهاية الأرب ٢٧ ـ ٨٣، المختصر في أخبار البشر ٧/٣، دول الإسلام ٤٨/٢، العبر ٧٠/٤، تاريخ الإسلام (٥٢٦ هـ.) ص ٣٧، تاريخ ابن الوردي ٣٨/٢، الدّرة المضية ٥١٠ عيون التواريخ ٢٥٣/١٢، الكواكب الدرية ٩٩، النجوم الزاهرة ٢٥٠/٥، تاريخ ابن سباط ٥٢/١، ٥٣، الأعلاق الخطيرة ق ١٤١/٢.

(٢) في تاريخ الإسلام «سوار»، ومثله في: زبدة الحلب.

(٣) تاريخ حلب للعظيمي ٣٨٥ (٤٨) وفيه قال: ومدحته بقصيدة أولها:

تقلد النصر واشدُد خلفك العذبا ... ولا يرجع الله في شيءٍ إذا وهبا

وانظر الخبر أيضاً في: زبدة الحلب ٢٥١/٢، ٢٥٢، والعبر ٧٠/٤، وتاريخ الإسلام (٥٢٧ هـ.) ص٣٥، وعيون التواريخ ٢٥٣/١٢، وذيل تاريخ دمشق ٢٣٦، ٢٤٠.

(٤) زبدة الحلب ٢٥٢/٢، ذيل تاريخ دمشق ٢٤١.

وولاية الملك طُغرل السلطنة، وأنّه تحارب هو والملك داود ابن أخيه محمود، وانهزام داود ودخوله بغداذ، فلمّا بلغ السلطانَ مسعوداً[1] انهزام داود وقصده بغداذ، سار هو إلى بغداذ أيضاً، فلمّا قاربها لقيه داود، وترجّل له وخدمه، ودخلا بغداذ.

ونزل مسعود بدار السلطنة في صفر من هذه السنة، وخاطب في الخطبة له، فأُجيب إلى ذلك، وخُطب له ولداود بعده، وخُلع عليهما، ودخلا إلى الخليفة فأكرمهما، ووقع الاتّفاق على مسير مسعود وداود إلى أذربِيجان، وأن يرسل الخليفة معهما عسكراً، فساروا، فلمّا وصلوا إلى مَراغة حمل آقسنقَر الأحمديليُّ مالاً كثيراً، وإقامة عظيمة، وملك مسعودٍ سائر بلاد أذربيجان، وانهزم مَن بها من الأمراء مثل قراسنقر وغيره من بين يدَيْه، وتحصّن منه كثير منهم بمدينة أَرْدَبِيل، فقصدهم وحصرهم بها، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وانهزم الباقون.

ثم سار بعد ذلك إلى هَمَذان لمحاربة أخيه الملك طغرل، فلمّا سمع طغرل بقربه برز إلى لقائه، فاقتتلوا إلى الظُّهر، ثم انهزم طغرل وقصد الرَّيّ، واستولى السلطان مسعود على هَمَذان في شعبان؛ ولمّا استقرّ مسعود بهمذان قُتل آقسنقَر الأحمديليُّ، قتله الباطنيّة، فقيل إنّ السلطان مسعوداً وضع عليه مَن قتله.

ثم إنّ طغرل لمّا بلغ قُمَّ عاد إلى أصبهان ودخلها، وأراد التحصّن بها، فسار إليه أخوه مسعود ليحاصره بها، فرأى طُغرل أنّ أهل أصبهان لا يطاوعونه على الحصار، فرحل عنهم إلى بلاد فارس، واستولى مسعود على أصبهان، وفرح أهلُها به، وسار من أصبهان نحو فارس يقتصّ أثر أخيه طُغرل، فوصل إلى موضعٍ بقرب البيضاء، فاستأمن إليه أمير من أمراء أخيه معه أربعمائة فارس، فأمّنه، فخاف طُغرل من عسكره أن ينحازوا إلى أخيه، فانهزم من بين يدَيْه، وقصد الرَّيّ في رمضان، وقُتل وزيره أبو[2] القاسم الأنساباذيُّ في الطريق، في شوّال، قتله غلمان الأمير شيركير الذي سعى في قتله، كما تقدّم ذكره.

وسار السلطان مسعود يتبعه، فلحِقه بموضعٍ يقال له ذكراور[3]، فوقع بينهما

---

(١) مسعود.

(٢) في الأوربية: «أبا».

(٣) في بودليان: «دكرار».

المصافّ هناك، فلمّا اشتبكت الحرب انهزم الملك طُغرل، فوقع عسكره في أرضٍ قد نضب عنها الماء، وهي وحل، فأُسر منهم جماعة من الأمراء منهم: الحاجب تنكر[1]، وابن بغرا، فأطلقهم السلطان مسعود، ولم يُقْتَل في هذا المصافّ إلاّ نفر يسير، ورجع السلطان مسعود إلى هَمَذَان[2].

ذكر[3] حصر المسترشِد باللّه المَوصِل

في هذه السنة (٥٢٧) حصر المسترشد باللّه مدينة الموصل في العشرين من شهر رمضان، وسب ذلك ما تقدّم من قصْد الشهيد زنكي بغداد على ما ذكرناه قبل. فلمّا كان الآن قصد جماعة من الأمراء السلجُوقيّة باب المسترشد باللّه وصاروا معه فقوي بهم.

واشتغل السلاطين السلجُوقيّة بالخُلْف الواقع بينهم، فأرسل الخليفة الشيخ بهاء الدين أبا الفُتُوح الإسْفَرَايينيّ الواعظ إلى عِماد الدين زنكي برسالةٍ فيها خشونة، وزادها أبو الفُتُوح زيادةً ثقةً بقوّة الخليفة وناموس الخلافة، فقبض عليه عماد الدين زنكي وأهانه ولقيه بما يكره، فأرسل المسترشد باللّه إلى السلطان مسعود يعرّفه الحال الذي جرى من زنكي، ويُعلمه أنّه على قصْد الموصل وحصْرها، وتمادت الأيّام إلى شعبان فسار عن بغداذ في النصف منه في ثلاثين ألف مقاتل.

فلمّا قارب الموصل فارقها أتابك زنكي في بعض عسكره، وترك الباقي بها مع نائبه نصير الدين جقر دزدارها والحاكم في دولته وأمرهم بحفظها، ونازلها الخليفة[4] وقاتلها وضيّق على من بها، وأمّا عماد الدين فإنّه سار إلى سِنجار وكان يركب كلّ ليلة ويقطع الميرة عن العسكر، ومتى ظَفَر بأحد من العسكر أخذه ونكّل به.

وضاقت الأمور بالعسكر أيضاً، وتواطأ جماعة من الجصّاصين بالموصل على تسليم البلد، فسُعي بهم فأُخِذوا وصُلبوا.

---

(١) في هامش الأصل: «تنكش».

(٢) ذيل تاريخ دمشق ٢٣٨، المنتظم ١٠/ ٢٩ (١٧/ ٢٧٥)، زبدة التواريخ ٢٠٢، ٢٠٣، تاريخ دولة آل سلجوق ٢٥٨، تاريخ الإسلام (٥٢٧ هـ.) ص ٣٤، تاريخ ابن سباط ١/ ٣٥.

(٣) من هنا يعود النص في النسخة (أ) المحفوظة بباريس برقم (٧٤٠).

(٤) في (أ) زيادة: «في رمضان».

وبقي الحصار على الموصل نحو ثلاثة أشهر ولم يظفر منها بشيء، ولا بلغه عمّن بها وهنٌ ولا قلّة ميرة وقوت، فرحل عنها عائداً إلى بغداد، فقيل إنّ نَظَر الخادم وصل إليه من عسكر السلطان، وأبلغه عن السلطان مسعود ما أوجب مسيره وعوده إلى بغداد، وقيل بل بلغه أن السلطان مسعوداً عزم على قصد العراق فعاد بالجملة، وأنّه رحل عنها منحدراً في شبّارة في دجلة فوصل إلى بغداد يوم عَرَفَة[١].

ذكر مُلك شمس الملوك مدينة حماة

وفي هذه السنة أيضاً، في شوّال، ملك شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك صاحب دمشق مدينة حماة وقلعتها، وهي لأتابك زنكي بن آقسُنْقَر أخذها من تاج الملوك كما ذكرناه، ولما ملك شمس الملوك قلعة بانياس أقام بدمشق إلى شهر رمضان من هذه السنة، وسار منها إلى حماة في العشْر الأخير منه.

وسبب طمعه أنّه بلغه أنّ المسترشد بالله يريد [أن] يحصر الموصل[٢] فطمع، وكان الوالي بحماة قد سمع الخبر فتحصّن، واستكثر من الرجال والذخائر، ولم يبقَ أحد من أصحاب شمس الملوك إلاّ وأشار عليه بترك قصْدها لقوّة صاحبها، فلم يسمع منهم، وسار إليها وحصر المدينة وقاتَل مَن بها يوم العيد، وزحف إليها من وقته، فتحصنّوا منه وقاتلوه، فعاد عنهم ذلك اليوم.

فلمّا كان الغد بكّر إليهم وزحف إلى البلد من جوانبه فملكه قهراً وعَنوةً، وطلب مَن به الأمان فأمنّهم وحصر القلعة، ولم تكن في الحصانة والعُلوّ على ما هي عليه اليوم، فإنّ تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين قطع جبلها وعملها هكذا في سنين كثيرة، فلمّا حصرها عجز[٣] الوالي بها عن حفظها فسلّمها إليه، فاستولى عليها وعلى ما بها من ذخائر وسلاح وغير ذلك[٤]، وسار منها إلى قلعة شَيزَر وبها صاحبها من بني

---

(١) المنتظم ١٠/ ٣٠ (١٧/ ٢٧٦)، التاريخ الباهر ٤٧، ٤٨، تاريخ مختصر الدول ٢٠٣، ٢٠٤، الدرة المضية ٥١٠، تاريخ الإسلام (٥٢٧ هـ.) ص٣٦، ٣٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٨، تاريخ ابن سباط ١/ ٥٣.

(٢) في (أ): «يتجهز ليحصر الموصل».

(٣) في (أ): «فعجز».

(٤) في (أ): «في شوال».

مُنقذ، فحصرها ونهب بلدها، فراسله صاحبها وصانعه بمال حمله إليه، فعاد عنه إلى دمشق فوصل إليها في ذي القعدة من السنة المذكورة[١].

ذكر هزيمة صاحب طرابلس الفرنجي

وفي هذه السنة[٢] عبر إلى الشام جمعٌ كثير من التركُمان من بلاد الجزيرة، وأغاروا على بلاد طرابلس وغنِموا وقتلوا كثيراً، فخرج القُمّص صاحب طرابلس في جموعه، فانزاح التركُمان من بين يديه، فتبِعهم فعادوا إليه وقاتلوه فهزموه، وأكثروا القتل في عسكره، ومضى هو ومَن سلم معه إلى قلعة بَعْرين فتحصّنوا فيها وامتنعوا على التركمان، فحصرهم التركمان فيها. فلمّا طال الحصار عليهم نزل صاحب طرابلس ومعه عشرون فارساً من أعيان أصحابه سرّاً فنجوا، وساروا إلى طرابلس، وترك[٣] الباقين في بَعْرين يحفظونها، فلمّا وصل إلى طرابلس كاتب جميع الفرنج فاجتمع عنده منهم خلْق كثير، وتوجّه بهم نحو التركمان ليرحلّهم عن بعرين، فلمّا سمع التركمان بذلك قصدوهم والتقوهم، وقُتل بينهم خلق كثير، وأشرف الفرنج على الهزيمة، فحملوا نفوسهم ورجعوا على حامية إلى رَفَنية، فتعذّر على التركمان اللّحاق بهم إلى وسط بلادهم، فعادوا عنهم[٤].

ذكر عّدة حوادث

في هذه السنة اشترى الإسماعيليّة[٥] بالشام حصن القَدمُوس من صاحبه ابن عمرون، وصعدوا إليه وقاموا بحرب مَن يجاورهم[٦] من المسلمين والفرنج وكانوا

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ٢٣٨، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٧، تاريخ ابن سباط ١/ ٥٣.

(٢) زاد في (أ): «في ذي الحجة».

(٣) في (أ): «وجعل».

(٤) الخبر في: ذيل تاريخ دمشق ٢٤٠، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٨، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (مخطوط) ج ١٦ ق ٢/ ٢٨٣، وتاريخ الإسلام (٥٢٧ هـ.) ص ٣٥، وعيون التواريخ (مخطوط) ١٢/ ٢٥٣، ودول الإسلام ٢/ ٤٨، والعبر ٤/ ٧٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٨، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٠٤، وتاريخ ابن سباط (بتحقيقنا) ١/ ٥٤، وكتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور (طبعة ثانية) ١/ ٤٩٥، ٤٩٦.

(٥) في (أ): «الباطنية».

(٦) في (ب): «من يحاربهم».

كلّهم يكرهون مجاورتهم[١].

وفيها وقع الخُلْف بين الفرنج بالشام، فقاتل بعضهم بعضاً، ولم تجرِ لهم بذلك عادة قبل هذه السنة، وقُتل بينهم جماعة[٢].

وفيها، في جُمادى الآخرة، أغار الأمير أسوار[٣] مُقدّم عسكر زنكي بحلب على ولاية تلّ باشر فغنم الكثير، فخرج إليه الفرنج في جمْع كثير فقاتلوه، فظفر بهم وأكثر القتل فيهم، وكان عدّة القتلى نحو ألف قتيل، وعاد سالّماً[٤].

وفيها، تاسع ربيع الآخر، وثب على شمس الملوك صاحب دمشق بعض مماليك جدّه طُغدِكين[٥]، فضربه بسيفٍ فلم يعمل فيه شيئاً، وتكاثر عليه مماليك شمس الملوك فأخذوه، وقُرّر ما الذي حمله على ما فعل فقال: أردتُ إراحة المسلمين من شرّك وظُلمك، ولم يزل يُضرب حتى أقرّ على جماعة أنّهم وضعوه على ذلك، فقتلهم شمس الملوك من غير تحقيق، وقتل معهم أخاه سونج، فعظُم ذلك على النّاس[٦] ونفروا عنه[٧].

[الوفيات]

وفيها تُوُفّي الشيخ أبو الوفاء الفارسيُّ[٨]، وكان له جنازة مشهودة حضرها أعيان بغداد.

وفيها، في رجب، توفّي القاضي أبو العبّاس أحمد بن سلامة[٩] بن عبد اللّه بن مَخْلَدَ المعروف بابن الرّطبي[١٠] الفقيه الشافعيّ قاضي الكرْخ، وتفقّه على أبي إسحاق، وأبي

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٣/ ٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٨.

(٢) تاريخ حلب ٣٨٥ (٤٧)، تاريخ الإسلام (٥٢٧ هـ) ص ٣٥.

(٣) في المصادر: «سوار».

(٤) تاريخ حلب ٣٨٥ (٤٨)، العبر ٤/ ٧٠، تاريخ الإسلام (٥٢٧ هـ) ص ٣٥، عيون التواريخ ١٢/ ٢٥٣، مرآة الزمان ٨ ق ١/ ١٤٦.

(٥) هكذا في الأصل بالدال. وهو «طغتكين».

(٦) في (أ): «الناس عامة».

(٧) المختصر في أخبار البشر ٣/ ٨، تاريخ الإسلام (٥٢٧ هـ.) ص ٣٦، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٨، ٣٩.

(٨) هو أحمد بن إبراهيم الفيروزأبادي. (مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٤٨، ١٤٩).

(٩) أنظر عن (أحمد بن سلامة) في: المنتظم ١٠/ ٣١ رقم ٣٨ (١٧/ ٢٧٧ رقم ٣٩٨١)، وتذكرة الحفاظ ١٢٨٨، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٠٥، وشذرات الذهب ٤/ ٨٠.

(١٠) في (أ): «بابن الفرسي» والمثبت يتفق مع المصادر.

نصر بن الصّبّاغ، وسمع الحديث ورواه، وكان قريباً من الخليفة يُؤدّب أولاده.

وتوفّي أبو الحسن[1] عليّ بن عُبيد[2] اللّه بن نصر المعروف بابن الزاغونيّ[3] الفقيه الحنبليّ الواعظ، وكان ذا فنون؛ توفّي في المحرّم.

وتوفّي عليُّ بن يَعلَى[4] بن عوض بن القاسم الهرويّ العلويّ، كان واعظاً، وله بخراسان قبول كثير، وسمع الحديث الكثير.

ومحمّد بن أحمد بن عليّ أبو عبد اللّه العثماني الديباجي[5]، وهو من أولاد محمّد بن عبد اللّه بن عَمرو بن عثمان بن عفّان. وكان محمّد يلقّب بالديباج لحُسنه، وأصله من مكّة، وهو من أهل نابلس، وكان مُغالياً في مذهب الأشعريّ، (وكان يعِظ)[6] توفّي في صفر.

وفيها توفّي أبو فُلَيْتة[7] أمير مكّة، وولي الإمارة بعده ابنه القاسم.

وفيها[8] توفّي العزيز بن هبة اللّه بن عليّ الشريف العلويّ الحسينيّ فجأةً بنيسابور. وكان جدّه نقيب النقباء بُخراسان. وعُرض على العزيز هذا نقابة العلويّين بنيسابور فامتنع، وعُرض عليه وزارة السلطان[9]، فامتنع، ولزِم الانقطاع والاشتغال بأمر آخرته.

وفيها توفّي قاضي قضاة خُراسان أبو سعيد محمد بن أحمد بن صاعد[10]، وكان خيّراً صالحاً.

---

(1) في طبعة صادر ١١/ ٩ «أبو الحسين»، والتصحيح من مصادر الترجمة.

(2) في طبعة صادر ١١/ ٩ «عبد». والتصحيح من مصادر الترجمة.

(3) أنظر عن (ابن الزاغوني) في: تاريخ الإسلام (٥٢٧ هـ.) ص١٥٤، ١٥٥ رقم ١٠٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(4) أنظر عن (علي بن يعلى) في: تاريخ الإسلام (٥٢٧ هـ.) ص١٥٧ رقم ١٠٤ وفيه مصادر ترجمته.

(5) أنظر عن (الديباجي) في: المنتظم ١٠/ ٣٣ رقم ٤٤ (١٧/ ٢٧٩ رقم ٣٩٨٧)، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٠٥، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٤٤ (٥٢٦ هـ.).

(6) من (ب).

(7) تاريخ الإسلام (٥٢٧ هـ.) ص٣٨، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٩، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (بتحقيقنا) ج ٢/ ٣١٣.

(8) في (ب): «وفيها في شعبان».

(9) في (أ): «السلطان سنجر».

(10) انظر عن (ابن صاعد) في: المنتظم١٠/ ٣٣ رقم ٤٦ (١٧/ ٢٨٠ رقم ٣٩٨٩) وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٢٨٨، وشذرات الذهب ٤/ ٨٢.

(٥٢٨)

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

ذكر مُلك شمس الملوك شقيف تيرون[١] ونهبه بلد الفرنج

في هذه السنة، في المحرّم، سار شمس الملوك إسماعيل من دمشق إلى شقيف تيرون وهو في الجبل المطلّ على بيروت وصيدا، وكان بيد الضحّاك بن جنَدل رئيس وادي التّيم، قد تغلّب عليه وامتنع به، فتحاماه المسلمون والفرنج، يحتمي[٢] على كلّ طائفة بالأخرى، فسار شمس الملوك إليه في هذه السنة، وأخذه منه في المحرّم، وعظُم أخْذُه عل الفرنج لأنّ الضحّاك كان لا يتعرّض لشيء من بلادهم المجاورة له؛ فخافوا شمس الملوك، فشرعوا في جمْع عساكرهم، فلمّا اجتمعت ساروا إلى بلد حَوْران، فخرّبوا أمّهات البلد، ونهبوا ما أمكنهم نهبه[٣] نهبةً عظيمةً.

وكان شمس الملوك، لما رآهم يجمعون، جمع هو أيضاً وحشد[٤] وحضر عنده جمْعٌ كثير من التركمان وغيرهم، فنزل بإزاء الفرنج، وجرت بينهم مناوشة عدّة أيّام، ثمّ إنّ شمس الملوك نهض ببعض عسكره، وجعل الباقي قبالة الفرنج، وهو لا يشعرون، وقصد بلادهم طَبَرِيّة، والناصرة، وعكّا، وما يجاورها من البلاد، فنهب وخرّب وأحرق، وأهلك أكثر البلاد، وسبَى النساء والذرّيّة، وامتلأت أيدي مَن معه من الغنائم، واتّصل الخبر بالفرنج، فانزعجوا، ورحلوا في الحال لا يُلوي أخ على أخيه، وطلبوا بلادهم.

وأمّا شمس الملوك فإنّه عاد إلى عسكره على غير الطريق الذي سلكه الفرنج،

---

(١) في (أ): «بيروت)، وهو غلط.

(٢) في (أ): «تحتمي».

(٣) في الأوربية: «ونهبوا أماكنهم نهبة».

(٤) في الأوربية: «وحشدوا».

فوصل[1] سالماً، ووصل الفرنج إلى بلادهم ورأوها خراباً، ففُتّ في أعضادهم وتفرّقوا، وراسلوا في تجديد الهُدنة، فتمّ ذلك في ذي القعدة للسنة[2].

ذكر عود الملك طغرل[3] إلى الجبل وانهزام الملك مسعود

في هذه السنة عاد الملك طُغْرُل بن محمّد بن ملكشاه ملك بلاد الجبل جميعها، وأجلى عنها أخاه السلطان مسعوداً.

وسبب ذلك أنّ مسعوداً لما عاد من حرب أخيه بلغه عصيان داود ابن أخيه السلطان محمود بأذْرِبيجان، فسار إليه وحصره بقلعة روئين دز، وكان قد تحصّن بها واشتغل بحصْره، فجمع الملك طُغرل العساكر، ومال إليه بعض الأمراء الذين مع السلطان مسعود، ولم يزل يفتح البلاد، فكثُرت عساكره وقصد مسعوداً، فلمّا قارب قزوين سار مسعود نحوه، فلمّا تراءى العسكران فارق مسعوداً من أمرائه مَن كان قد استماله طُغرل فبقي في قلّةٍ من العسكر، فولّى منهزماً أواخر رمضان.

وأرسل إلى المسترشد باللّه في القدوم [إلى] بغداد، فأذِن له، وكان نائبه بأصفهان ألبُقْش السلاحيّ، ومعه الملك سلجوقشاه، فلمّا سمع بانهزام مسعود قصد بغداد أيضاً، فنزل سلجوقشاه بدار السلطان، فأكرمه الخليفة، وأنفذ إليه عشرة آلاف دينار، ثمّ قصد مسعود بغداد، وأكثر أصحابه رُكّاب جمال لعدم ما يركبونه، ولقي في طريقه شدّة، فأرسل إليه الخليفة الدوابّ والخيام والآلات وغيرها من الأموال والثياب، فدخل[4] الدار السلطانيّة ببغداد منتصف شوّال وأقام طُغْرُل بهَمذان[5].

ذكر حصر أتابك زنكي آمِد والحرب بينه وبين داود وملك زنكي قلعة الصور

في هذه السنة اجتمع أتابك زنكي صاحب الموصل وتمرتاش صاحب ماردين

---

(١) في (ب): «فعاد».

(٢) ذيل تاريخ دمشق ٢٤٢، ٢٤٣ مرآة الزمان ج ٨ ق ١٤٨/١، المختصر في أخبار البشر ٨/٣، تاريخ الإسلام (٥٢٨ هـ.) ص٤٣، تاريخ ابن الوردي ٣٩/٢، تاريخ ابن سباط ٥٥/١.

(٣) في الأصل: «طغرك».

(٤) في (أ): «والآلات والفرش والمال فدخل».

(٥) المنتظم ١٠/ ٣٥، ٣٦ (١٧/ ٢٨٤)، نهاية الأرب ٢٧/ ٤٠.

وقصدا مدينة آمدِ فحصراها، فأرسل صاحبها إلى داود بن سُقْمان بن أُرتُق صاحب حصن كِيفا يستنجده، فجمع مَنْ أمكنه جمْعَه، وسار نحو آمِد ليرحّلهما عنها: فالتقوا على باب آمِد[1] وتصافّوا في جُمادى الآخرة، فانهزم داود، وعاد مفلولاً، وقُتل جماعة من عسكره

وأقام زنكي وتمِرتاش على أمِد محاصرين لها، وقطعا الشجر، وشعّثا البلد، وعادا عنها من غير بلوغ غرض، فقصد زنكي قلعة الصور من ديار بكر وحصرها وضايقها، فملكها في رجب من هذه السنة، واتّصل به ضياء الدين أبو سعيد بن الكفرتُوثيّ فاستوزره زنكي، وكان حَسَن الطريقة، عظيم الرئاسة والكفاية، مُحِبّاً للخير وأهله[2].

ذكر ملك زنكي قلاع الأكراد الحميديّة

في هذه النسة استولى عماد الدين زنكي على جميع قلاع الأكراد الحميديّة منها قلعة العَقْر وقلعة شوش وغيرهما[3].

وكان لما ملك الموصل أقرّ صاحبها الأمير عيسى الحميديّ على ولايتها وأعمالها، ولم يعترضه على شيء ممّا هو بيده؛ فلمّا حصر المسترشد الموصل حضر عيسى هذا عنده وجمع الأكراد عنده فأكثر، فلمّا رحل المسترشد عن الموصل أمر زنكي أن تُحصر قلاعهم فحُصرت مدّة طويلة، وقُوتلت قتالاً شديداً إلى أن مُلكت هذه السنة، فاطمأن إذاً أهل سواد الموصل المجاورون لهؤلاء القوم، فإنّهم كانوا معهم في ضائقة كبيرة من نهب أموالهم وخراب البلاد[4].

ذكر مُلك قلاع الهكّاريّة وكواشى

وحُكي عن بعض العلماء من الأكراد ممّن له معرفة بأحوالهم أن أتابك زنكي لما

---

(١) في (أ): «آمد وتحاربو».

(٢) ذيل تاريخ دمشق ٢٤٣. نهاية الأرب ٢٧/ ١٢٩.

(٣) في (أ): «وغيرهما وسبب ذلك أنه لما».

(٤) نهاية الأرب ٢٧/ ١٢٩، ١٣٠، و«العَقْر» بفتح العين المهملة وسكون القاف، قلعة حصينة في جبال الموصل، شرقيّ الموصل. و«الشوش» قلعة عظيمة عالية جداً قرب عقر الحميدية من أعمال الموصل، قيل هي أعلى من العقر وأكبر ولكنها دونها في القدر. (معجم البلدان ٣/ ٣٧٢، و٤/ ١٣٦)، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٨.

ملك قلاع الحميديّة وأجلاهم عنها خاف أبو الهيجاء بن عبد اللّه صاحب قلعة أَشَب والجزيرة ونوشى، فأرسل إلى أتابك زنكي من استحلفه له وحمل إليه مالاً؛ وحضر عند زنكي بالموصل، فبقي مدّة ثمّ مات، فدُفن بتلّ توبة[1]. ولما سار عن أشب إلى الموصل أخرج ولده أحمد بن أبي الهيجاء منها خوفاً أن يتغلّب عليها، وأعطاه قلعة نوشى؛ وأحمد هذا هو والد عليّ بن أحمد المعروف بالمشطوب من أكابر أمراء صلاح الدين بن أيّوب بالشام.

ولما أخرجه أبوه من أشب استناب بها كردياً يقال له باو الأرجيّ، فلمّا مات أبو الهيجاء سار ولده أحمد بن نوشى إلى أشب ليملكها، فمنعه باو، وأراد حِفْظها لولد صغير لأبي الهيجاء اسمه عليّ، فسار زنكي بعسكره فنزل على أشب وملكها.

وسبب مُلكها أنّ أهلها نزلوا كلّهم إلى القتال، فتركهم زنكي حتى قاربوه واستجرّهم حتى أبعدوا عن القلعة، ثمّ عطف عليهم فانهزموا، فوضع السيف فيهم، فأكثر القتل والأسر، وملك زنكي القلعة في الحال وأحضر جماعة من مقدّمي الأكراد فيهم باو فقتلهم وعاد عنها إلى الموصل، ثمّ سار عنها، ففي غيبته أرسل نصير الدين جقر نائب زنكي، وخرّب أشب وخلّى كُهَيجّة ونوشى وقلعة الجلاّب، وهي قلعة العِماديّة، وأرسل إلى قلعة الشعبانيّ، وفرح، وكوشر، والزعفران، وألقى، ونيروة، وهي حصوان المِهْرانيّة، فحصرها فملك الجميع، واستقام أمر الجبل والزُّوزان، وأمِنت الرعايا من الأكراد.

وأمّا باقي قلاع الهكّاريّة جلّ صورا، وهَرُور، والملاسي، ومابَرما، ويابوخا، وباكزا، ونِسباس، فإنّ قُراجة صاحب العماديّة فتحها من مدّةٍ طويلة بعد قتل زنكي، وقُراجة هذا كان أميراً قد أقطعه زين الدين عليّ بلد الهكّاريّة بعد قتل زنكي، ولم أعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلهذا ذكرتُه ها هنا.

وحكى غير هذا بعض فُضلاء الأكراد وخالف فيه فقال: إنّ زنكي لما فتح قلعة أشب وخرّبها وبنى قلعة العماديّة ولم يبقَ في الهكّارية إلاّ صاحب جلّ صورا وصاحب هرور، ولم يكن لهما[2] شوكة يخاف منها، عاد إلى الموصل، فخافه أصحاب القلاع الجبليّة، فاتّفق أنّ عبد اللّه بن عيسى ابن إبراهيم صاحب الربيّة، وألقى، وفرح،

---

(١) في الأوربية: «توقة».

(٢) في الأوربية: لها.

وغيرها توفّي، وملكها بعده ولده عليّ، وكانت والدته خديجة بنت الحسن أخت إبراهيم وعيسى، وهما من الأمراء، مع زنكي، وكانا بالموصل، فأرسلها ولدها عليّ إلى أخويها، وطلبا له الأمان من زنكي، وحلّفاه له ففعل، ونزل إلى خدمة زنكي وأقرّه على قلاعه، واشتغل زنكي بفتح قلاع الهكّاريّة، وكان الشعبانيّ بيد أمير من المهرانيّة اسمه الحسن بن عُمر، فأخذه منه وقرّبه منه لكبره وقلّة أعماله.

وكان نصير الدين جقر يكره عليّاً صاحب الربيّة وغيرها، فحسّن لزنكي القبض عليه، فأذِن له في ذلك، فقبض عليه ثمّ ندم زنكي على قبضه، فأرسل إلى نصير الدين أن يطلقه فرآه قد مات، قيل إنّ نصير الدين قتله. ثمّ أرسل العسكر إلى قلعة الربيّة فنازلوها بغتةً، فملكوها في ساعة، وأسروا كلّ مَن بها من ولد عليّ وإخوته وأخواته، وكانت والدة عليّ خديجة غائبة فلم توجد، فلمّا سمع زنكي الخبر بفتح الربيّة سرّه، وأمر أن تسير العساكر إلى باقي القلاع التي لعليّ، فسارت العساكر، فحصروها، فرأوها منيعة، فراسلهم زنكي ووعدهم الإحسان، فأجابوه إلى التسليم على شرط أن يطلق كلّ مَن في السجن منهم، فلم يُجِبهم إلى ذلك، إلاّ أن يسلّموا أيضاً قلعة كواشى، فمضت خديجة والدة عليّ إلى صاحب كواشى واسمه خول وهرون وهو من المهرانيّة، فسألته النزول عن كواشى، فأجابها إلى ذلك، وتسلّم زنكي القلاع وأطلق الأسرى، فلم يُسمع بمثل هذا، فقال ينزل من مثل كواشى لقول امرأة فإمّا أن يكون أعظم النّاس مروءةً لا يردّ من دخل بيته، وإمّا أن يكون أقلّ النّاس عقلاً؛ واستقامت ولاية الجبال.

ذكر عّدة حوادث

في هذه السنة أوقع الدانشمند صاحب مَلَطْية بالفرنج الذين بالشام، فقتل كثيراً منهم وأسر كثيراً[1].

وفيها اصطلح الخليفة وأتابك زنكي[2].

وفيها، في ربيع الأوّل، عُزل شرف الدين أنوشِرْوان بن خالد عن وزارة الخليفة[3].

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٣/٨.

(٢) المختصر في أخبار البشر ٣/٨.

(٣) المنتظم ١٠/ ٣٤ (١٧/ ٢٨٢)، تاريخ الإسلام (٧٢٨ هـ.) ص٣٩.

وفيها توفّيت أمّ المسترشد بالله[1].

وفيها سيّر المسترشد عسكراً إلى تكريت فحصروا مجاهد الدين بهروز، فصانَعَ عنها بمالٍ فعادوا عنه[2].

وفيها اجتمع جمع من العساكر السنجريّة مع الأمير أرغش وحصروا قلعة كردكوه بُخراسان، وهي للإسماعيليّة، وضيّقوا على أهلها وطال حصرها، وعُدمت عندهم الأقوات، فأصاب أهلها تشنّج وكزاز، وعجز كثير منهم عن القيام فضلاً عن القتال، فلمّا ظهرت أمارات الفتح رحل الأمير أرغش[3]. فقيل إنّهم حملوا إليه مالاً كثيراً وأعلاقاً نفيسة، فرحل عنهم.

[الوفيات]

وفيها توفّي الأمير سليمان بن مهارش العقيليّ أمير بني عقيل، وولي الإمارة بعده أولاده مع صِغر سنّهم، وطِيف بهم في بغداد رعايةً لحقّ جَدّهم مُهَارش، فإنّه هو الذي كان الخليفة القائم بأمر الله عنده في الحديثة لما فعل به البساسيريُّ ما ذكرنا.

وفيها، في المحرَّم، توفّي الفقيه أبو عليّ الحسن بن إبراهيم بن فرهون[4] الشافعيُّ الفارقيُّ[5]، ومولده بميافارقين سنة ثلاثٍ وثلاثين وأربعمائة، وتفقّه بها على أبي عبد الله الكازرُوني، فلمّا توفّي الكازروني انحدر إلى بغداد وتفقّه على أبي إسحاق الشيرازي، وأبي نصر الصّبّاغ، ووليَ القضاء بواسط، وكان خيّراً فاضلاً لا يواري ولا يحابي أحداً في الحكم.

وفيها توفّي عبد [الله] بن محمّد بن أحمد بن الحسن أبو محمّد بن أبي بكر[6]

---

(١) المنتظم ١٠/٤١ رقم ٥٩ (١٧/ ٢٩٠ رقم ٤٠٠٢)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٥٢.

(٢) المنتظم ١٠ / ٣٥ (١٧/ ٢٨٣).

(٣) في (أ): زيادة «وعنهم».

(٤) في (أ): «بن برهون الفارقي قاضي واسط».

(٥) أنظر عن (الفارقي) في المنتظم ١٠/ ٣٧ رقم ٥٠ (١٧/ ٢٨٥، ٢٨٦، رقم ٣٩٩٣)، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٠٦.

(٦) أنظر عن (ابن أبي بكر) في: المنتظم ١٠/ ٣٧، ٣٨ رقم ٥١ (١٧/ ٢٨٦، ٢٨٧ رقم ٣٩٩٤)، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٤٩، ١٥٠.

الفقيه الشافعيّ، تفقّه على أبيه وأفتى وناظر، وكان يعِظ ويُكثر في كلامه من التجانُس، فمن ذلك قوله: أين القدود العالية، والخدود الورديّة، ملئت بها واللّه العالية والورديّة، وهما مقبرتان بنهر المُعَلّى،

ومن شعره:

الـدمـعُ دَمـاً يَسيـلُ مِـنْ أجْفَـانـي ... إن عشـتُ مـعَ البكـا فمـا أجفـانـي

سِجنـي شجَنـي وهَمّنـي سمّـانـي[1] ... العـاذِلُ بـالمَـلام قَـد سَمّـانـي[2]

والـذِّكـرُ لَهـم يَـزيـدُ فـي أشجـانـي ... والنّـوْحُ مـعَ[3] الحَمـامِ قـد أشجـانـي

ضَـاقَـتْ ببعـادِ مُنيَتـي[4] أعْطـانـي ... والبَيـنُ يَـدَ[5] الهمـومِ قـد أعطـانـي

وفيها توفّي ابن أبي الصّلت الشاعر، ومن شِعره يذمّ ثقيلاً:

لي صَديق[6] عجبتُ كيفَ استطاعتْ ... هَـذِهِ الأرْضُ وَالجبـالُ تُقِلّـهْ

أنـا أرْعـاهُ مُكْـرِمـاً وَبقَلْبـي ... فمنـهُ مـا يَنسِـفُ الجِبـالَ أقَلّـهْ

هـوَ مثـلُ المَشيـبِ أكْـرَهُ رُؤيـا ... هُ وَلَكِـنْ أصُـونُـهُ وأُجلّـهْ

وله أيضاً:

سـادَ صِغـارُ النّـاسِ فـي عصـرِنـا ... لا دامَ مِـنْ عَصـرٍ وَلا كَـانَـا

كـالـدَسْـتِ مهمـا هَـمّ أن يَنقَضـي ... صَـارَ بِـهِ البَيـذَقُ فِـرزَانَـا

وفيها توفّي محمّد بن عليّ بن عبد الوهّاب[7] أبو رشيد، الفقيه الشافعيُّ، من أهل طبَرستان، وسمع الحديث أيضاً ورواه، وكان زاهداً عابداً أقام بجزيرةٍ في البحر سنين منفرداً يعبدُ اللّه، سبحانه وتعالى، وعاد إلى آمل فتوفّي فيها وقبره يزار.

---

(١) في المنتظم: «سجاني» وكذا في (أ).

(٢) المنتظم: «شجاني»، وكذا في (أ).

(٣) في (ب): «والنوم مع».

(٤) في المنتظم: «مهجتي».

(٥) في (ب): «مد».

(٦) في (أ): «جليس»، وفي (ب): «ثقيل».

(٧) هكذا في الأصل وطبعة صادر ١١/١٨ وفي (ب) والمنتظم ١٠/٤٠ رقم ٥٧ (١٧/٢٨٩ رقم ٤٠٠٠)، ومرآة الزمان ج ق ١/١٥١، والبداية والنهاية ١٢/٢٠٧ «محمد بن علي بن عبد الواحد».

(٥٢٩)
ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة

ذكر وفاة الملك طُغْرُل ومُلك مسعود بلد الجبل

قد ذكرنا قدوم السلطان مسعود إلى بغداد منهزماً من أخيه الملك طُغرُل بن محمد، فلمّا وصل إلى بغداد أكرمه الخليفة وحمل إليه ما يحتاج إليه مثلُه، وأمره بالمسير إلى همذان وجمْع العساكر ومنازعة أخيه طُغْرل في السلطنة والبلاد، ومسعود يَعِد ويدافع الأيّام، والخليفة يحثّه على ذلك، ووعده أن يسير معه بنفسه، وأمر أن تُبرز خيامه إلى باب الخليفة.

وكان قد اتّصل الأمير البَقش السلاحيّ وغيره من الأمراء بالخليفة، وطلبوا خدمته، فاستخدمهم واتّفق معهم. واتّفق أنّ إنساناً أُخذ فوُجد معه مُلطّفاتٌ من طُغْرُل إلى هؤلاء الأمراء وخاتمه بالإقطاع لهم، فلمّا رأى الخليفة ذلك قبض على أمير منهم اسمه أغلبك ونهب ماله، فاستشعر غيره من الأمراء الذين مع الخليفة، فهربوا إلى عسكر السلطان مسعود، فأرسل الخليفة إلى مسعود في إعادتهم إليه، فلم يفعل واحتجّ بأشياء، فعظُم ذلك على الخليفة، وحدث بينهما وحشة أوجبت تأخرّه عن المسير معه، وأرسل إليه يُلزمه بالمسير معه أمراً جزماً، فبينما الأمر على هذا إذ جاءه الخبر بوفاة أخيه طُغْرل، وكانت وفاته في المحرّم من هذه السنة، وكان مولده سنة ثلاثٍ وخمسمائة في المحرّم، وكان خيّراً عاقلاً عادلاً قريباً إلى الرعيّة محسِناً إليها، وكان قبل موته قد خرج من داره يريد السفر إلى أخيه السلطان مسعود، فدعا له الناس، فقال: ادعوا بخيرنا للمسلمين.

ولما توفّي ووصل الخبر إلى مسعود سار من ساعته نحو هَمَذان، وأقبلت العساكر جميعها إليه، واستوزر شرف الدين أنوشروان بن خالد، وكان قد خرج في

صُحبته هو وأهله، ووصل مسعود إلى همذان واستولى عليها، وأطاعته البلاد جميعها وأهلها[1].

ذكر قَتْل شمس الملوك ومُلك أخيه

في هذه السنة، رابع عشر ربيع الآخر، قُتل شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك بوري بن طُغْدِكِين صاحب دمشق، وسبب قتله أنّه ركب طريقاً شنيعاً من الظُّلم ومصادرات العمّال وغيرهم من أعمال البلد، وبالَغَ في العقوبات لاستخراج الأموال، وظهر منه بُخْلٌ زائد ودناءةُ نفْس، بحيث أنّه لا يأنف من أخذ الشيء الحقير بالعدوان، إلى غير ذلك من الأخلاق الذميمة، وكرهه أهله وأصحابه ورعيّته.

ثمّ ظهر عنه أنّه كاتب عماد الدين زنكي يُسلّم إليه دمشق ويحثّه على سرعة الوصول، وأخلى المدينة من الذخائر والأموال، ونقل الجميع إلى صَرْخَد، وتابع الرسل إلى زنكي يحثّه على الوصول إليه ويقول له: إن أهملتَ المجيء سلّمتها إلى الفرنج؛ فسار زنكي، فظهر الخبر بذلك في دمشق فامتعض أصحاب أبيه وجدّه لذلك وأقلقهم، وأنهوا الحال لوالدته فساءها وأشفقت منه، ووعدتهم بالراحة من هذا الأمر.

ثمّ إنها ارتقبت الفرصة في الخلوة من غلمانه، فلمّا رأته على ذلك أمرت غلمانها بقتله فقُتل، وأمرت بإلقائه في موضع من الدار ليشاهده غلمانه وأصحابه، فلمّا رأوه قتيلاً سُرّوا لمصرعه وبالراحة من شرّه.

وكان مولده ليلة الخميس سابع جمادى الآخرة سنة ستّ وخمسمائة.

وقيل: كان سبب قتله أن والده كان له حاجب اسمه يوسف بن فيروز، وكان متمكّناً منه حاكماً في دولته، ثمّ في دولة شمس الملوك بعده، فاتُّهم بأمّ شمس الملوك، ووصل الخبر إليه بذلك فهَمّ بقتل يوسف فهرب منه إلى تدمر، وتحصّن بها، وأظهر الطاعة لشمس الملوك، فأراد قتل أمّه، فبلغها الخبر فقتلته خوفاً منه، والله أعلم.

---

(1) أنظر عن وفاة طغرل في: زبدة التواريخ ٢٠٤، وراحة الصدور ١٧٠، ١٧١، والمختصر في أخبار البشر ٨/٣، وآثار الدول للعباسي ١٠٤، والروضتين ٧٩، ودول الإسلام ٤٩/٢ وفيه «طغربك»، والعبر ٧٥/٤ وفيه «طغربل»، وعيون التواريخ ٢٩٢/١٢، والبداية والنهاية ٢٠٧/١٢، وتاريخ ابن الوردي ٣٩/٢، وتاريخ ابن سباط ٥٦/١.

ولما قُتل ملك بعده أخوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري، وجلس في منصبه، وحلف له النّاس كلّهم واستقرّ في المُلك، والله أعلم[١].

ذكر حصر أتابك زنكي دمشق

في هذه السنة حصر أتابك زنكي دمشق، وكان نزوله عليها أوّل جُمادى الأولى، وسببه ما ذكرنا من إرسال شمس الملوك صاحبها إليه واستدعائه ليسلّمها إليه، فلمّا [وصلت] كُتُبه ورُسُله بذلك سار إليها، فقُتل شمس الملوك قبل وصوله، ولما عبر الفرات[٢] أرسل إليه رسلاً في تقرير قواعد التسليم، فرأوا الأمر قد فات، إلاّ أنّهم أُكرموا وأُحسن إليهم، وأعيدوا[٣] بأجمل جواب، وعرف زنكي قتل شمس الملوك، وأنّ القواعد عندهم مستقرّة لشهاب الدين، والكلمة متّفقة على طاعته، فلم يحفل زنكي بهذا الجواب، وسار إلى دمشق فنازلها، وأجفل أهلُ السواد إلى دمشق، واجتمعوا فيها على محاربته.

ونزل أوّلاً شماليها، ثمّ انتقل إلى ميدان الحصار، وزحف وقاتل. فرأى قوّة ظاهرة وشجاعة عظيمة واتّفاقاً تامّاً على محاربته؛ وقام مُعين الدين أُنُر مملوك جدّه طُغْدِكين في هذه الحادثة بدمشق قياماً مشهوداً، وظهر من معرفته بأمور الحصار والقتال، وكفايته ما لم يُرَ. وما كان سبب تقدّمه واستيلائه على الأمور بأسرها، على ما نذكر إن شاء الله تعالى.

فبينما هو يحاصرها وصل رسول الخليفة المسترشد بالله وهو أبو بكر بن بشر الجَزَرِيّ من جزيرة ابن عمر بِخلعٍ لأتابك زنكي، ويأمره بمصالحة صاحب دمشق

---

(١) أنظر عن مقتل شمس الملوك في: ذيل تاريخ دمشق ٢٤٥، ٢٤٦ زبدة الحلب ٢/ ٢٥٥، وبغية الطلب (قسم السلاجقة) ٢٢٢،٢٢٣، ومفرّج الكروب ١/ ٥٧، ونهاية الأرب ٢٧/ ١٣٠، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٩، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٩٣، والدرة المضية ٥١٩، ودول الإسلام ٢/ ٥٠،٥١ والعبر ٤/ ٧٧،٧٨، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٩٤،٢٩٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٧٥، ٥٧٦ رقم ٣٢٩، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٠٤، ومرآة الجنان ٣/ ٢٥٥،٢٥٦، والوافي بالوفيات ٩/ ٩٨ ـ ١٠٠، والكواكب الدرية ١٠٣، ومآثر الانافة ٢/ ٢٨ ـ ٢٩ والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦ وشذرات الذهب ٤/ ٩٠، ومنتخبات التواريخ لدمشق ٤٤٧، وتاريخ ابن سباط ١/ ٥٦،٥٧.

(٢) في الأوربية: «الفراة».

(٣) في (أ): «وأعيد».

الملك ألب أرسلان محمود الذي مع أتابك زنكي، فرحل عنها لليلتين بقيتا من جُمادى الأولى من السنة المذكورة[1].

ذكر قَتْل حسن بن الحافظ

قد ذكرنا سنة ستّ وعشرين وخمسمائة أنّ الحافظ لدين الله صاحب مصر استوزر ابنه حَسَناً، وخطب له بولاية العهد، فبقي إلى هذه السنة ومات مسموماً؛ وسبب ذلك أن أباه الحافظ استوزره، وكان جريئاً على سفك الدماء، وكان في نفس الحافظ على الأمراء الذين أعانوا أبا عليّ ابن الأفضل[2] حقدٌ، ويريد الإنتقام منهم من غير أن يباشر ذلك بنفسه، فأمر ابنه حسناً بذلك، فتغلّب على الأمر جميعه، واستبدّ به، ولم يبقَ لأبيه معه حكمٌ، وقتل من الأمراء المصريّين ومن أعيان البلاد أيضاً حتى إنّه قتل في ليلةٍ واحدة أربعين أميراً.

فلمّا رأى أبوه تغلّبه عليه أخرج له خادماً من خدم القصر الأكابر، فجمع الجموع، وحشد من الرّجالة خلقاً كثيراً، وتقدّم إلى البلد، فأخرج إليهم حسن جماعة من خواصّه وأصحابه، فقاتلوهم، فانهزم الخادم وقُتل من الرجّالة الذين معه خلق كثير؛ وعبر الباقون إلى بر الجزيرة، فاستكان الحافظ، فصبر تحت الحجر. ثمّ إنّ الباقين من الأمراء المصريّين اجتمعوا واتّفقوا على قتل حسن، وأرسلوا إلى أبيه الحافظ وقالوا له: إمّا أنّك تسلّم ابنك إلينا لنقتله، أو نقتلكما جميعاً، فاستدعى ولدَه إليه واحتاط عليه، وأرسل إلى الأمراء بذلك، فقالوا: لا نرضى إلاّ بقتله. فرأى أنّه إن سلّمه إليهم طمعوا فيه، وليس إلى إبقائه سبيل، فأحضر طبيبين كانا له أحدهما مسلم والآخر يهودي، فقال لليهوديّ: نريد سُمّاً نسقيه لهذا الولد ليموت ونتخلص من هذه الحادثة. فقال: أنا لا أعرف غير النقوع وماء الشعير وما شاكل هذا من الأدوية. فقال: أنا أريد ما أخلص به من هذه المصيبة. فقال له: لا أعرف شيئاً. فأحضر الطبيب المسلم وسأله عن ذلك، فصنع له شيئاً فسقاه الولد فمات لوقته؛ فأرسل

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ٢٤٧،٢٤٨، زبدة الحلب ٢/٢٥٧، المختصر في أخبار البشر ٣/٩، نهاية الأرب ٢٧/١٣٠، الدّرة المضية ٥١٩، تاريخ ابن الوردي. ٢/٣٩، عيون التواريخ ١٢/١٩٥،١٩٦، الكواكب الدّرية ١٠٣، تاريخ الإسلام (٥٢٩ هـ.) ص٥٣، تاريخ ابن سباط ١/٥٧.

(٢) في (أ): «أعانوا على ابن الأفضل».

الحافظ إلى الجُند يقول لهم: إنّه قد مات. فقالوا: نريد [أن] ننظر إليه؛ فأحضر بعضهم عنده فرأوه وظنّوه قد عمل حيلة، فجرحوا أسافل رِجْلَيه فلم يجر منها دم، فعلموا موته وخرجوا.

ودُفن حسن وأحضر الحافظ الطبيب المسلم وقال له: ينبغي أن تخرج من عندنا من القصر، وجميع ما لك من الإنعام والجامكيّة باقٍ عليك؛ وأحضر اليهوديّ وزاده وقال له: أعلم أنّك تعرف ما طلبته منك ولكنّك عاقل فتقيم في القصر عندنا.

وكان حَسَن سيّء السيرة، ظالماً، جريئاً على سفك الدماء وأخْذ الأموال، فهجاه الشعراء، فمن ذلك ما قال المعتمد بن الأنصاريّ صاحب الترسّل المشهور:

لـم تـأتِ يـا حسـنٌ بيـنَ الـوَرَى حسنَـاً ولـم تَـرَ الحَـقّ فـي دنيـا وَلا ديـنِ
قتـلُ النّفـوسِ بـلا جُـرْمٍ وَلا سبَـبٍ وَالجـوْرُ فـي أخـذِ أمـوالِ المَسـاكيـنِ
لقـد جَمَعـتَ بـلا عِلـمٍ وَلا أدَبٍ تِيـهَ المُلـوكِ وَأخـلاقَ المَجـانِيـنِ

وقيل إنّ الحافظ لما رأى ابنه تغلّب على الملك وضع عليه مَن سقاه السمّ فمات[1]، واللّه أعلم.

ولما مات حسن استوزر الحافظ الأميرَ تاج الدولة بهرام، وكان نصرانيّاً، فتحكّم واستعمل الأرمن على النّاس، فاستذلّوا المسلمين[2]، وسيأتي ذكر ذلك سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة إن شاء اللّه تعالى.

ذكر مسير المسترشد إلى حرب السلطان مسعود وانهزامه

في هذه السنة كانت الحرب بين الخليفة المسترشد باللّه وبين السلطان مسعود في شهر رمضان، وسبب ذلك أنّ السلطان مسعوداً لما سافر من بغداد إلى همذان، بعد موت أخيه طُغرُل، وملكها، فارقه جماعة من أعيان الأمراء منهم يرنقش بازدار،

---

(١) أنظر عن مقتل الحسن بن الحافظ في: المختصر في أخبار البشر ٣/ ٩، والدّرة المضية ٥١٤، ٥١٥، العبر ٤/ ٧٨، وتاريخ الإسلام (٥٢٩ هـ.) ص١٧٤ رقم ١٣٣، والوافي بالوفيات ١٢/ ٩٤ رقم ٨٠، والمقفى الكبير ٣/ ٤١٥ ـ ٤١٩ رقم ١١٩٤، واتعاظ الحنفا ٣/ ١٥٣ ـ ١٥٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٤٣، وتاريخ ابن سباط ١/ ٨٥.

(٢) المختصر في أخبار البشر ٣/ ٩.

وقزل آخُر[1]، وسُنْقُر الخُمارتكين والي هَمَذان، وعبد الرحمن بن طغايرك، وغيرهم، خائفين منه، مستوحشين، ومعهم عددٌ كثيرٌ وانضاف إليهم دُبيس بن صَدَقة. وأرسلوا إلى الخليفة يطلبون منه الأمان ليحضروا خدمته، فقيل له: إنّها مكيدة لأنّ دُبيساً معهم؛ وساروا نحو خوزستان، واتّفقوا مع برسق بن برسق، فأرسل الخليفة إليهم سديد الدولة ابن الأنباريّ بتوقيعات إلى الأمراء المذكورين بتطييب نفوسهم والأمر بحضورهم.

وكان الأمراء المذكورون قد عزموا على قبض دبيس والتقرّب إلى الخليفة بحمله إليه، فبلغه ذلك فهرب إلى السلطان مسعود. وسار الأمراء إلى بغداد في رجب، فأكرمهم الخليفة وحمل إليهم الإقامات والخِلع، وقُطعت خُطب[2] السلطان مسعود من بغداد، وبرز الخليفة في العشرين من رجب على عزم المسير إلى قتال مسعود، وأقام في الشفيعيّ[3] فعصى عليه بكبه[4] صاحب البصرة فهرب إليها، فراسله وبذل له الأمان فلم يعُد إليه.

وتريّث الخليفة عن المسير وهؤلاء الأمراء يحسّنون له الرحيل، ويسهّلون عليه الأمر، ويضعّفون عنده أمر السلطان مسعود، فسيّر مقدّمتَه إلى حُلوان فنهبوا البلاد، وأفسدوا ولم ينكر عليهم أحد شيئاً؛ ثمّ سار الخليفة ثامن شعبان، ولحِق به في الطريق الأمير برسق بن برسق، فبلغت عدّتهم سبعة آلاف فارس، وتخلّف بالعراق مع إقبال خادم المسترشد بالله ثلاثة آلاف فارس.

وكان السلطان مسعود بهمذان في نحو ألفٍ وخمس مائة فارس، وكان أكثر أصحاب الأطراف يكاتبون الخليفة ويبذلون له الطاعة، فتريّث في طريقه، فاستصلح السلطان مسعود أكثرهم حتى صاروا في نحو خمسة عشر ألف فارس، وتسلّل جماعة كثيرة من عسكر الخليفة حتى بقي في خمسة آلاف، وأرسل أتابك زنكي نجدةً فلم تلحق[5].

---

(١) «آخر» من (أ).

(٢) في (أ): «خطبة».

(٣) في النسخة الباريسية رقم ٧٤٠٠ «السفيعي».

(٤) في الباريسية: «بكته»، و«بلبه».

(٥) المنتظم ١٠/ ٤٤، ٤٥ (١٧/ ٢٩٤، ٢٩٥)، تاريخ الإسلام (٥٢٩ هـ.) ص ٤٧، مرآة الجنان ٣/ ٢٥٥.

وأرسل الملك داود ابن السلطان محمود وهو بأَذْرَبيجان إلى الخليفة يشير بالميل إلى الدِّينَوَر ليحضر بنفسه وعسكره، فلم يفعل المسترشد ذلك، وسار حتى بلغ دايمرج، وعبّأ أصحابه، فجعل في الميمنة يرنقش بازدار، ونور الدولة سُنقُر، وقزل آخُر، وبرسق بن برسق، وجعل في الميسرة جاولي، وبرسق شراب سلار، وأغلبك الذي كان الخليفة قد قبض عليه وأخرجه من محبسه.

ولما بلغ السلطانَ مسعوداً خبرهم سار إليهم مُجِدّاً، فواقعهم بدايمرج[1] عاشر رمضان، وانحازت ميسرة الخليفة مخامرة عليه إلى السلطان مسعود فصارت معه، واقتتلت ميمنته وميسرة السلطان قتالاً ضعيفاً، ودار به عسكر السلطان وهو ثابت لم يتحرّك من مكانه، وانهزم عسكره وأُخذ هو أسيراً ومعه جمع كثير من أصحابه، منهم الوزير شرف الدين عليُّ بن طِراد الزينبي، وقاضي القُضاة، وصاحب المخزن ابن طلحة، وابن الأنباري والخطباء والفقهاء والشهود وغيرهم، وأُنزل الخليفة في خيمة وغنموا ما في معسكره وكان كثيراً، فحُمل الوزير وقاضي القضاة وابن الأنباري وصاحب المخزن وغيرهم من الأكابر إلى قلعة سرجهان، وباعوا الباقين بالثمن الطفيف، ولم يُقتل في هذه المعركة أحدٌ وهذا من أعجب ما يُحْكى.

وعاد السلطان إلى هَمَذَان وأمر فنودي: مَن تبعنا إلى همذان من البغداديّين قتلناه؛ فرجع النّاس كلّهم على أقبح حالة لا يعرفون طريقاً وليس معهم ما يحملهم، وسيّر السلطان الأمير بك أبه[2] المحموديّ إلى بغداد شِحنةً فوصلها سلْخ رمضان ومعه عبيد، فقبضوا جميع أملاك الخليفة وأخذوا علاّتها.

وثار جماعة من عامّة بغداد، فكسروا المنبر والشبّاك، ومنعوا من الخطبة، وخرجوا إلى الأسواق يَحْثُون التراب على رؤوسهم ويبكون ويصيحون، وخرجت النساء حاسرات في الأسواق يلطمن، واقتتل أصحاب الشحنة وعامّة بغداد، فقُتل من العامّة ما يزيد على مائة وخمسين قتيلاً، وهرب الوالي وحاجب الباب.

وأمّا السلطان فإنّه سار في شوّال من همذان إلى مراغة لقتال الملك داود ابن

---

(١) من (ب).

(٢) في الباريسية: «بك ابه».

أخيه محمود، وكان قد عصى عليه، فنزل على فرسخَين من مَراغة، والمسترشد معه، فتردّدت الرسل بين الخليفة وبين السلطان في الصلح، فاستقرّت القاعدة على[1] ما نذكره إن شاء اللّه، واللّه الموفّق[2].

ذكر قَتْل المسترشد باللّه وخلافة الراشد باللّه

لما قُبض المسترشد باللّه أبو[3] منصور بن الفضل بن المستظهر باللّه أبي العبّاس أحمد، على ما ذكرناه، أنزله السلطان مسعود في خيمة، ووكّل به مَن يحفظه، وقام بما يجب من الخدمة، وتردّدت الرسل بينهما في الصُّلح وتقرير القواعد على مالٍ يؤدّيه الخليفة، وأن لا يعود يجمع العساكر وأن لا يخرج من داره. فأجاب السلطان إلى ذلك، وأركب الخليفة وحمل الغاشية بين يديه، ولم يبقَ إلاّ أن يعود إلى بغداد. فوصل الخبر أنّ الأمير قرّان خوان قد قدِم رسولاً من السلطان سَنجَر، فتأخّر مسير المسترشد لذلك، وخرج النّاس والسلطان مسعود إلى لقائه، وفارقَ الخليفةَ بعضُ مَن كان موكّلاً به، وكانت خيمته منفردة عن العسكر، فقصده أربعة وعشرون رجلاً من الباطنيّة، ودخلوا عليه فقتلوه، وجرحوه ما يزيد على عشرين جراحة، ومثّلوا به فجدعوا أنفه وأُذُنيه وتركوه عُرياناً، وقُتل معه نفر من أصحابه، منهم أبو عبد اللّه بن سُكينة، وكان قتْله يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة على باب مَراغة، وبقي حتى دفنه أهل مَراغة[4].

وأما الباطنيّة فقتُل منهم عشرة، وقيل: بل قُتلوا جميعهم، واللّه أعلم، وكان عمره لما قُتل ثلاثاً وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وستّة أشهر وعشرين يوماً. وأُمّه أمّ ولد، وكان شهماً شجاعاً، كثير الإقدام، بعيد الهمّة، وأخباره المذكورة تدلّ[5] على ما ذكرناه. وكان فصيحاً بليغاً حَسَن الخطّ، ولقد رأيتُ خطّه في غاية الجودة، ورأيتُ أجوبته على الرقاع من أحسن ما يُكتب وأفصحه.

---

(١) في (أ): «عليه على».
(٢) المنتظم ١٠/ ٤٥، ٤٦ (١٧/ ٢٩٥)، الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٢٠ الفخري ٣٠٣، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٩، العبر ٤/ ٧٧، تاريخ الإسلام (٥٢٩ هـ.) ص٤٧ ـ ٤٩.
(٣) في الأصل: «أبو أحمد».
(٤) أنظر عن (قتل المسترشد) في: تاريخ الإسلام (٥٢٩ هـ.) ص٥١ وفيه مصادره.
(٥) في الأوربية: «تري».

ولما قُتل المسترشد بالله بويع ولده أبو جعفر المنصور، ولُقّب الراشد بالله، وكان المسترشد قد بايع له بولاية العهد في حياته، وجُدّدت له البيعة بعد قتله يوم الإثنين السابع والعشرين من ذي القعدة؛ وكتب السلطان مسعود إلى بك أبه[1] الشِحنة ببغداد فبايع له، وحضر النّاس البيعة، وحضر بيعته أحدٌ وعشرون رجلاً من أولاد الخلفاء؛ وبايع له الشيخ أبو النجيب، ووعظه، وبالغ في الموعظة. وأمّا جمال الدولة إقبال فإنّه كان ببغداد في طائفة من العسكر، فلمّا جرت هذه الحادثة عبر إلى الجانب الغربيّ، وأصعد إلى تكريت وراسل مجاهد الدين بهروز، وحلّفه وصعد إليه بالقلعة[2].

ذكر مسير السلطان سَنجَر إلى غزنة وعَوده عنها

في هذه السنة، في ذي القعدة، سار السلطان سَنجرَ من خُراسان إلى غَزنَة، وسبب ذلك أنّه نُقل إليه عن صاحبها بَهرام شاه أنّه تغيّر عن طاعته، وأنّه قد مدّ يده إلى ظلم الرّعايا واغتصاب أموالهم.

وكان السلطان سَنجَر هو الذي ملك غَزنة، وقد ذكرناه سنة تسع وخمسمائة، فلمّا سمع هذه الأخبار المزعجة سار إلى غَزْنة ليأخذها أو يصلحه، فلمّا سلك الطريق وأبعد أدركهم شتاء شديد البرد، كثير الثلج، وتعذّرت عليهم الأقوات والعلوفات، فشكا العسكر إلى السلطان ذلك، وذكروا له ما هم فيه من الضيق وتعذُّر ما يحتاجون إليه، فلم يجدوا عنده غير التقدّم أمامه؛ فلمّا قارب غَزنة أرسل بَهرام شاه رُسلاً يضرع إلى سنَجَر ويسأل الصفح عن جُرمه، والعفو عن ذنبه، فأرسل إليه سنَجر المقرّب جوهراً الخادم، وهو أكبر أمير عنده، ومن جملة أقطاعه مدينة الرَّيّ، في جواب رسالته يجيبه عن العفو عنه إن حضر عنده وعاد إلى طاعته، فلمّا وصل إلى بهرام شاه أجابه إلى ما طلب منه من الطاعة وحمل المال والحضور بنفسه في خدمته، وأظهر من

---

(١) في الباريسية رقم ٧٤٠ «بدابه».

(٢) المنتظم ١٠/ ٥٠ (١٧/ ٣٠٠)، التاريخ الباهر ٥٠، تاريخ حلب ٣٨٧ (٥٠)، الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٢٢، زبدة التواريخ ٢٠٩، تاريخ الزمان ١٤٩، تاريخ مختصر الدول ٢٠، الفخري ٣٠٨، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٥٨، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٠، تاريخ الإسلام (٥٢٩ هـ.) ص٥٢، ٥٣، الكواكب الدرية تاريخ ابن سباط ١/ ٦٠، ٦١.

الطاعة والإنقياد لما يحكم به السلطان سنجر شيئاً كثيراً.

وعاد المقرّب جوهر ومعه بهرام شاه إلى سنجر، فسبقه المقرّب إلى السلطان سنجر وأعلمه بوصول بهرام شاه، وأنّه بُكرة غد يكون عنده، وعاد المقرّب إلى بهرام شاه ليجيء بين يديه، وركب سنجر من الغد في موكبه لتلقّيه، وتقدّم بهرام شاه ومعه المقرّب إلى سنجر، فلمّا عاين موكب سنجر والجتر على رأسه نكص على عقبيْه عائداً، فأمسك المقرّب عنانه وقبّح فعله، وخوّفه عاقبة ذلك، فلم يرجعْ وولّى هارباً ولم[1] يصدق بنجاته ظنّاً منه أنّ سنجر يأخذه ويملك بلده؛ وتبعه طائفة من أصحابه وخواصّه، ولم يعرّج على غَزنة، وسار سنجر إلى غَزنَة فدخلها وملكها، واحتوى على ما فيها، وجبَى أموالها، وكتب إلى بهرام شاه كتاباً يلومه على ما فعله، ويحلف له أنّه ما أراد به سوءاً، ولا له في بلده مطمع، ولا هو ممّن يكدّر صنيعته وتعقب حسنته معه بسيّئةٍ، وإنّما قصده لإصلاحه، فأعاد بهرام شاه الجواب يعتذر ويتنصّل ويقول إنّ الخوف منعه من الحضور، ولا لوم على من خاف مثل السلطان، ويضرع في عَوده إلى الإحسان، فأجابه سنجر إلى إعادة بلده إليه، وفارق غَزنة عائداً إلى بلاده، فوصل إلى بلْخ في شوّال سنة ثلاثين وخمسمائة، واستقرّ مُلك غَزنة لبهرام شاه، ورجع إليها مالكاً لها ومستولياً عليها[2].

ذكر قتل دُبيس بن صدقة بالتاريخ

في هذه السنة قتل السلطان مسعودٌ دُبَيس بن صَدَقة على باب سُرادقه بظاهر خُوَنج، أمر غلاماً أرمنيّاً بقتله، فوقف على رأسه وهو ينكت الأرض بإصبعه، فضرب رقبته وهو لا يشعر، وكان ابنه صَدَقة بالحِلّة، فاجتمع إليه عسكر أبيه ومماليكه، وكثُر جمْعُه، واستأمن إليه الأمير قتلغ تكين، وأمر السلطان مسعود بك أبه[3] أن يأخذ الحِلّة، فسار بعض عسكره إلى المدائن، وأقاموا مدّة ينتظرون لحاق بك أبه بهم فلم يسر إليهم جبُناً وعجزاً عن قصد الحِلّة لكثرة العسكر بها مع صدقة. وبقي صدقة بالحِلّة إلى أن قدم السلطان مسعود إلى بغداد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة فقصده

---

(١) في الأوربية: «ولا».

(٢) تاريخ الإسلام (٥٢٩ هـ.) ص٥٣.

(٣) في الباريسية، ورقم ٧٤٠ «بدابه».

وأصلح حاله معه ولزِم خدمته[١].

ومثل هذه الحادثة تقع كثيراً وهي قرب موت المتعادييَن، فإنّ دُبيساً كان يُعادي المسترشد باللّه ويكره خلافته، ولم يكن يعلم أنّ السلاطين إنّما كانوا يُبقون عليه ليجعلوه عُدّة لمقاومة المسترشد، فلمّا زال السبب زال المسبّب، واللّه أعلم بذلك.

ذكر حصر عسكر يحيى المهديّة

في هذه السنة سيّر يحيَى بن العزيز بن حمّاد صاحب بَجاية عسكراً ليحصروا المهديّة، وبها صاحبها الحسن بن عليّ بن تميم بن المعزّ بن باديس، وكان سبب ذلك أنّ الحسن أحبّ ميمون بن زياد أمير طائفة كبيرة من العرب، وزاده على سائر العرب، فحسده العرب فسار أمراؤها إلى يحيَى بن العزيز بأولادهم، وجعلوهم رهائن عنده، وطلبوا منه أن يرسل معهم عسكراً ليملكوا له المهديّة، فأجابهم إلى ذلك وهو متباطىء، فاتّفق أنّه وصله كتب من بعض مشايخ المهديّة بمثل ذلك، فوثق بما[٢] أتاه وسيّر عسكراً كثيفاً، واستعمل عليهم قائداً كبيراً من فقهاء أصحابه يقال له مطرِّف بن حمدون.

وكان يحيَى هذا هو وآباؤه يحسدون أولاد المنصور أبي الحسن هذا، فسارت العساكر الفارس والراجل، ومعهم من العرب جمْع كثير حتى نزلوا على المهديّة، وحصروها برّاً وبحراً، وكان مطرّف يُظهر التقشّف والتورّع عن الدماء، وقال: إنّما أتيتُ الآن لأتسلّم البلد بغير قتال؛ فخاب ظنّه، فبقي أيّاماً لا يُقاتل، ثمّ إنّهم باشروا القتال فظهر أهل المهديّة عليهم وأثّروا فيهم، وتوالى القتال وفي كلّ ذلك الظفر لأهل البلد، وقُتل من الخارجين جمٌّ غفير.

وجمع مطرّف عسكره وزحف برّاً وبحراً لما يئس من التسليم، وقاتل أشدّ قتال، فملكت شوانيه شاطىء البحر، وقربوا من السور، فاشتدّ الأمر، فأمر الحسن بفتح الباب من الشاطىء وخرج أوّل النّاس، وحمل هو ومَن معه عليهم وقال: أنا الحسن! فلمّا سمع مَن يقاتله دعواه سلّموا عليه، وانهزموا عنه إجلالاً له، ثمّ أخرج الحسن

---

(١) أنظر عن مقتل دُبيس بن صدقة في: تاريخ ابن سباط (بتحقيقنا) ج ١/ ٦١ وفيه حشدت عشرات المصادر.

(٢) في الأوربية: «إلى ما».

شوانيه تلك الساعة من الميناء، فأُخذ من تلك الشواني أربع قِطع، وهُزم الباقي.

ثمّ وصلته نجدة من رجّار الفرنجيّ، صاحب صقليّة، في البحر، في عشرين قطعة، فحصرت شواني صاحب بجاية، فأمرهم الحسن بإطلاقها فأطلقوها، ثمّ وصل ميمون بن زياد في جمع كثير من العرب لنُصرة الحسن، فلمّا رأى ذلك مطرّف وأنّ النجدات تأتي الحسن في البرّ والبحر، علم أنّه لا طاقة له بهم، فرحل عن المهديّة خائباً، وأقام رجّار الفرنجيّ مظهِراً للحسن أنّه مهادنه وموافقه، وهو مع ذلك يعمّر الشواني ويُكثر عددها.

ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة جَرْبَة

كانت جزيرة جَرْبَة من بلاد إفريقية قد استوت في كثرة عمارتها وخيراتها، غير أنّ أهلها طَغَوا، فلا يدخلون تحت طاعة السلطان، ويُعرفون بالفساد وقطْع الطريق، فخرج إليها جمع من الفرنج، أهل صَقَلّيّة، في أسطولٍ كثير وجمّ غفير، فيه من مشهوري فرسان الفرنج جماعة فنزلوا بساحتها وأداروا المراكب بجهاتها.

واجتمع أهلها وقاتلوا قتالاً شديداً، فوقع بين الفريقين حرب شديدة، فثبت أهل جربة، فقُتل منهم بشرٌ كثير، فانهزموا وملك الفرنج الجزيرة، وغنموا أموالها وسبوا نساءها وأطفالها، وهلك أكثر رجالها، ومَن بقي منهم أخذوا لأنفسهم أماناً من رجّار ملك صقليّة، وافتكّوا أَسْراهم وسبْيهم وحريمهم، والله أعلم بذلك[١].

ذكر مُلك الفرنج حصن روطة[٢] من بلاد الأندلس

في هذه السنة اصطلح المستنصر بالله من هود والسُّليطين الفرنجيّ صاحب طُليطُلة من بلاد الأندلس مدّة عشر سنين، وكان السليطين قد أدمن غزو بلاد المستنصر وقتاله، حتى ضعُف المستنصر عن مقاومته لقلّة جنوده وكثرة الفرنج، فرأى أن يصالحه مدّة يستريحُ فيها هو وجنوده، ويعتدّون للمعاودة، فتردّدت الرسل بينهم، فاستقرّ

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٠، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٠١، تاريخ ابن سباط ١/ ٦٢ و«جَرْبة» بالفتح ثم السكون. جزيرة على مقربة من قابس. (معجم البلدان ٢/ ١١٨).

(٢) في المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٠ «زوطة» بالزاي. والمثبت هو الصحيح كما في (معجم البلدان ٣/ ٩٦).

الصلح على أن يسلّم المستنصر إلى السليطين حصن رُوْطة من الأندلس، وهو من أمنع الحصون وأعظمها، فاستقرّت القاعدة واصطلحوا وتسلّم منه الفرنج الحصن، وفعل المستنصر فِعلةً لم يفعلها قبله أحدٌ[1].

ذكر حصر ابن رُدمير مدينة أفراغة وهزيمته وموته

وفي هذه السنة حصر ابن رُدمير الفرنجي مدينة أفراغة من شرق الأندلس، وكان الأمير يوسف بن تاشفين بن عليّ بن يوسف بمدينة قُرطُبة، فجهّز الزّبير بن عَمرو اللمتُونيّ والي قرطبة ومعه ألفا فارس، وسيّر معه ميرة كثيرة إلى أفراغة.

وكان يَحيَى بن غانية، الأمير المشهور، أمير مُرسية وبَلَنْسية من شرق الأندلس ووالي أمرها لأمير المسلمين عليّ بن يوسف، فتجهزّ في خمس مائة فارس، وكان عبد اللّه بن عِياض صاحب مدينة لاردة، فتجهّز في مائتي فارس، فاجتمعوا وحملوا الميرة وساروا حتى أشرفوا على مدينة أفراغة، وجعل الزبير الميرة أمامه، وابن غانية أمام الميرة، وابن عياض أمام ابن غانية، وكان شجاعاً بطلاً وكذلك جميع مَنْ معه.

وكان ابن رُدمير في اثني عشر ألف فارس، فاحتقر جميع الواصلين من المسلمين، فقال لأصحابه: اخرجوا وخذوا هذه الهديّة التي أرسلها المسلمون إليكم؛ وأدركه العُجب، ونفّذ قطعة كبيرة من جيشه. فلمّا قربوا من المسلمين حمل عليهم ابن عياض وكسرهم، وردّ بعضهم على بعض، وقتل فيهم، والتحم القتال، وجاء ابن رُدمير بنفسه وعساكره جميعها مُدلّين بكثرتهم وشجاعتهم، فحمل ابن عانية وابن عياض في صدورهم، واستحرّ الأمر بينهم، وعظُم القتال، فكثُر القتل في الفرنج، وخرج في الحال أهل أفراغة، ذَكَرُهم وأُنثاهم، صغيرهم وكبيرهم، إلى خيام الفرنج، فاشتغل الرجال بقتل مَن وجدوا في المخيم، واشتغل النساء بالنهب، فحُمل جميع ما في المخيّم إلى المدينة من قوت وعُدَد وآلات وسلاح وغير ذلك.

وبينما المسلمون والفرنج في القتال إذ وصل إليهم الزبير في عسكره فانهزم ابن رُدمير وولّى هارباً، واستولى القتل على جميع عسكره، فلم يسلم منهم إلاّ القليل، ولحِق ابن رُدمير بمدينة سَرَقُسطَة، فلمّا رأى ما قُتل من أصحابه مات مفجوعاً بعد

---

(١) المختصر ٣/ ١٠، تاريخ ابن سباط ١/ ٦٢.

عشرين يوماً من الهزيمة، وكان أشدّ ملوك الفرنج بأساً، وأكثرهم تجرّداً لحرب المسلمين، وأعظمهم صبراً، كان ينام على طارقته بغير وطاء، وقيل له: هلاّ تسرّيتَ من بنات أكابر المسلمين اللاتي سبيتَ؟ فقال: الرجل المحارب ينبغي أن يعاشر الرجال لا النساء؛ وأراح اللّه منه وكفى المسلمين شرّه.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في شوّال، زُلزلت الأرض بالعراق، والموصل، وبلاد الجبل، وغيرها، وكانت الزلزلة شديدة، وهلك فيها كثير من النّاس[1]، واللّه أعلم.

---

(١) أنظر عن الزلزلة في: المنتظم ١٠/٤٦ (١٧/٢٩٦)، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/١٥٢، ١٥٣، وتاريخ الإسلام (٥٢٩ هـ.) ص٤٩، وعيون التواريخ ١٢/٢٩٦، والبداية والنهاية ١٢/٢٠٨، والكواكب الدرية ١٠٠، وكشف الصلصلة ١٨٣.

(٥٣٠)

ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة

ذكر الحرب بين عسكر الراشد وعسكر السلطان مسعود

في المحرّم من هذه السنة وصل يرنقش[١] الزكويّ من عند السلطان مسعود يطالب الخليفة بما كان قد استقرّ على المسترشد من المال، وهو أربعمائة ألف دينار، فذكر أنّه لا شيء عنده، وأنّ المال جميعه كان مع المسترشد باللّه، فنُهب في الهزيمة المذكورة. ثمّ بلغ الراشد باللّه أنّ يرنقش يريد الهجوم على دار الخلافة وتفتيشها لأخذ المال، فجمع العساكر لمنع داره، وأمّر عليهم كج أبه، وأعاد عمارة السور.

فلمّا علم يرنقش بذلك اتّفق هو وبك أبه شِحنة بغداد، وهو من أمراء السلطان، على أن يهجموا على دار الخليفة يوم الجمعة، فبلغ ذلك الراشد باللّه فاستعدّ لمنعهم، وركب يرنقش ومعه العكسر السُّلطاني والأمراء البكجيّة، ومحمّد بن عكر[٢]، في نحو خمسة آلاف فارس ولقيهم عسكر الخليفة ومتقدّمهم كج أبه، واقتتلوا قتالاً شديداً، وساعد العامّة عسكر الخليفة على قتال العسكر السُّلطاني حتى أخرجهم إلى دار السلطان، فلمّا جنّهم الليل ساروا إلى طريق خُراسان، ثمّ انحدر بك أبه إلى واسط، وسار يرنقش إلى البَنْدَنِيجين، ونهب أهل بغداد دار السلطان[٣].

ذكر اجتماع أصحاب الأطراف على حرب مسعود ببغداد وخروجهم عن طاعته

في هذه السنة اجتمع كثير من الأمراء وأصحاب الأطراف على الخروج عن طاعة

---

(١) يرد في المصادر: «يرنقش» و«برنقش» و«برتقش»، و «رتقش».

(٢) في (أ): «بن عكة»، وفي (ب): «بن عسكر».

(٣) المنتظم ١٠/ ٥٤ (١٧/ ٣٠٥، ٣٠٦)، تاريخ الإسلام (٥٣٠ هـ.) ص٥٤، العبر ٤/ ٧٩، ٨٠، مرآة الجنان ٣/ ٢٥٧، عيون التواريخ ١٢/ ٣٠٦ الكواكب الدّرية ١٠٤، تاريخ ابن سباط ١/ ٦٣.

السلطان مسعود، فسار الملك داود ابن السلطان محمود في عسكر أَذَرْبيجان إلى بغداد، فوصلها رابع صفر، ونزل بدار السلطان، ووصل أتابك عماد الدين زنكي بعدَه من الموصل؛ ووصل يرنقش[1] بازدار صاحب قزوين وغيرها، والبقش الكبير صاحب أصفهان، وصَدَقة بن دُبيس صاحب الحِلّة، ومعه عنتر بن أبي العسكر الجاواني يدبّره، ويتمّم نقص صباه، وابن برسق، وابن الأحمديلي، وخرج إليهم من عسكر بغداد كج أبه والطرنطاي[2] وغيرهما، وجعل الملك داود في شِحنكية بغداد يرنقش بازدار، وقبض الخليفة الراشد بالله على ناصح الدولة أبي عبد الله الحسن بن جَهِير أستاذ الدار، وهو كان السبب في ولايته، وعلى جمال الدولة إقبال المسترشدي، وكان قد قدِم إليه من تكريت، وعلى غيرهما من أعيان دولته، فتغيّرت[3] نيّات أصحابه عليه وخافوه.

فأمّا جمال الدولة فإنّ أتابك زنكي شفع فيه شفاعة تحتها إلزام، فأُطلق وصار إليه ونزل عنده.

وخرج موكب الخليفة مع وزيره جلال الدين أبي الرضى بن صَدَقة إلى عماد الدين لتهنئته[4] بالقدوم، فأقام الوزير عنده وسأله أن يمنعه من الخليفة، فأجابه إلى ذلك، وعاد الموكب بغير وزير، وأرسل زنكي مَن حرس دار الوزير من النّهب، ثمّ أصلح حاله مع الخليفة، وأعاده إلى وزارته.

وكذلك أيضاً عبر عليه قاضي القضاة الزينبيُّ، وسار معه إلى الموصل، ثمّ إنّ الخليفة جدّ في عمارة السور، فأرسل الملك داود مَن قلع أبوابه وأخرب قطعة منه، فانزعج النّاس ببغداد، ونقلوا أموالهم إلى دار الخلافة، وقُطعت خطبة السلطان مسعود، وخُطب للملك داود وجَرَتِ الأيمان بين الخليفة والملك داود وعماد الدين زنكي، وأرسل الخليفة إلى أتابك زنكي ثلاثين ألف دينار لينفقها.

ووصل الملك سلجوقشاه إلى واسط فدخلها وقبض على الأمير بك أبه ونهب

---

(١) في (أ): «برنقش».
(٢) في (أ): «طرنمطاي»، وفي (ب): «الطرنطاري». وفي المختصر لأبي الفداء ٣/ ١١، «طرنطى».
(٣) في (أ): «فنفرت».
(٤) في (أ): ليهنيه».

ماله، وانحدر أتابك زنكي إليه لدفعه عنها واصطلحا، وعاد زنكي إلى بغداد وعبر إلى طريق خُراسان، وحثَ على جمع العساكر للقاء السلطان مسعود.

وسار الملك داود نحو طريق خُراسان أيضاً، فنهب العسكر البلاد وأفسدوا، ووصلت الأخبار بمسير السلطان مسعود إلى بغداد لقتال الملك، وفارق الملك داود وأتابك زنكي، فعاد أتابك زنكي إلى بغداد، وفارق الملك داود، وأظهر له أن يمضي إلى مراغة إذا فارق السلطان مسعود همذان، فبرز الراشد بالله إلى ظاهر بغداد أوّل رمضان، وسار إلى طريق خُراسان، ثمّ عاد بعد ثلاثة أيّام ونزل عند جامع السلطان، ثمّ دخل إلى بغداد خامس رمضان، وأرسل إلى داود وسائر الأمراء يأمرهم بالعَود إلى بغداد، فعادوا، ونزلوا في الخيام، وعزموا على قتال السلطان مسعود من داخل سور بغداد.

ووصلت رسل السلطان مسعود يبذل من نفسه الطاعة والموافقة للخليفة والتهديد لمن اجتمع عنده، فعرض الخليفة الرسالة عليهم، فكلّهم رأى قتاله، فقال الخليفة: وأنا أيضاً معكم (على ذلك)[١].

ذكر مُلك شهاب الدين حمص

في هذه السنة، في الثاني والعشرين من ربيع الأوّل، تسلّم شهاب الدين محمود، صاحب دمشق، مدينة حمص وقلعتها، وسبب ذلك أنّ أصحابها أولاد الأمير خير خان بن قراجا[٢]، والوالي بها من قِبَلهم، ضجروا من كثرة تعرّض عسكر عماد الدين زنكي إليها وإلى أعمالها، وتضييقهم على مَن بها من جنديّ وعاميّ، فراسلوا شهاب الدين في أن يسلّموها إليه، ويعطيهم عِوضاً عنها تدمر، فأجابهم إلى ذلك، وسار إليها وتسلّمها منهم في التاريخ المذكور، وسلّم إليهم تدمر، وأقطع حمص مملوك جدّه معيْن الدين أُنُز، وجعل فيها نائباً عنه[٣] ممّن يثق به من أعيان أصحابه، وعاد عنها إلى دمشق.

فلمّا رأى عسكر زنكي الذين بحلب وحماة خروجَ حمص عن أيديهم تابعوا

---

(١) من (أ). والخبر في: المنتظم ١٠/٥٥ (١٧/٣٠٦)، والمختصر في أخبار البشر ٣/١١.

(٢) في (أ): «قراجة».

(٣) في (أ): «عنه يوسف بن فيروز حاجب أبيه وجده وعاد عنها».

الغارات إلى بلدها والنهب له، والاستيلاء على كثير منه، فجرى بينهم عّدة وقائع، وأرسل شهاب الدين إلى زنكي في المعنى، واستقرّ الصلح بينهم، وكفّ كلّ منهم عن صاحبه[1].

ذكر الفتنة بدمشق

في هذه السنة وقعت الفتنة بدمشق بين صاحبها والجُند. وسبب ذلك أنّ الحاجب يوسف بن فيروز كان أكبر حاجب عند أبيه وجدّه، ثمّ إنّه خاف أخاه شمس الملوك، وهرب منه إلى تدمر، فلمّا كانت هذه السنة سأل أن يحضر إلى دمشق، وكان يخاف جماعة المماليك لأنّه كان أساء إليهم وعاملهم أقبح معاملة، فكلّهم عليه حنق، لا سيّما في الحادثة التي خرج فيها شمس الملوك، وقد تقدّمت، فإنّه أشار بقتل جماعة أبرياء وبقتل سونج بن تاج الملوك، فصاروا كلّهم أعداء مبغضين.

فلمّا طلب الآن الحضور إلى دمشق أجيب إلى ذلك، فأنكر جماعة الأمراء والمماليك قربه، وخافوه أن يفعل بهم مثل فعله الأوّل، فلم يزل يتوصّل معهم حتى حلف لهم واستحلفهم، وشرط على نفسه أنّه لا يتولّى من الأمور شيئاً.

ثمّ أنّه جعل يُدخل نفسَه في كثير من الأمور، فاتّفق أعداؤه على قتله، فبينما هو يسير مع شمس الملوك في الميدان وإلى جانبه أمير اسمه بزاوش يحادثه، إذ ضربه بزاوش بالسيف فقتله، فحُمل ودُفن عند تربة والده بالعقيبة[2].

ثمّ إنّ بزاوش[3] والمماليك خافوا شمس الملوك، فلم يدخلوا البلد، ونزلوا بظاهره، وأرسلوا يطلبون قواعد استطالوا فيها، فأجابهم إلى البعض، فلم يقبلوا منه؛ ثمّ ساروا إلى بعلبكّ، وبها شمس الدولة محمّد بن تاج الملوك صاحبها، فصاروا معه، فالتحق بهم كثير من التركمان وغيرهم، وشرعوا في العَيْث والفساد، واقتضت الحال مراسلتهم وملاطفتهم وإجابتهم إلى ما طلبوا، واستقرّت الحال على ذلك، وحلف كلّ منهم لصاحبه، فعادوا إلى ظاهر دمشق ولم يدخلوا البلد.

---

(1) ذيل تاريخ دمشق ٢٥٢، تاريخ ابن سباط ١/ ٦٢، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٥٨، ١٥٩.

(2) ذيل تاريخ دمشق ٢٥٣، تاريخ الإسلام (٥٣٠ هـ.) ص٦١، ٦٢.

(3) يرد «بزاوش» و«بزواش» و«بزواج».

وخرج شهاب الدين، صاحب دمشق، إليهم واجتمع بهم وتجدّدت الأيمان، وصار بزاوش مقدّم العسكر وإليه الحلّ والعقد. وذلك في شعبان، وزال الخلف، ودخلوا البلد، والله أعلم[١].

ذكر غزاة العسكر الأتابكيّ لبلاد الفرنج

في هذه السنة، في شعبان، اجتمعت عساكر أتابك زنكي، صاحب حلب وحماة، مع الأمير أسوار[٢] نائبه بحلب، وقصدوا بلد الفرنج على حين غفلة منهم، وقصدوا أعمال اللاذقيّة بغتة، ولم يتمكّن أهلها من الانتقال عنها والاحتراز، فنهبوا منها ما يزيد عن[٣] الوصف، وقتلوا وأسروا، وفعلوا في بلد الفرنج ما لم يفعله بهم غيرهم.

وكان الأسرى سبعة آلاف أسير ما بين رجل وامرأة وصبيّ، ومائة ألف رأس من الدوابّ ما بين فرس وبغل وحمار وبقر وغنم، وأمّا ما سوى ذلك من الأقمشة والعَين والحُليّ فيخرج عن الحدّ، وأخربوا بلد اللاذقيّة وما جاورها، ولم يسلم منها إلاّ القليل، وخرجوا إلى شَيزر بما معهم من الغنائم سالمين، منتصف رجب، فامتلأ الشام من الأسارى والدوابّ، (وفرح المسلمون بذلك فرحاً عظيماً)[٤]، ولم يقدر الفرنج على شيء يفعلونه مقابل هذه الحادثة، عجْزاً ووهناً[٥].

ذكر وصول السلطان مسعود إلى العراق وتفرّق أصحاب الأطراف ومسير الراشد بالله إلى الموصل وخلعه

لما بلغ السلطانَ مسعوداً[٦] اجتماعُ الملوك والأمراء، ببغداد، على خلافه،

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ٢٥٥، تاريخ الإسلام (٥٣٠ هـ.) ص٦٢.

(٢) في (أ): «مع الأسوار».

(٣) في (أ): «على».

(٤) من (أ).

(٥) زبدة الحلب/ ٢٦٠، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١١، دول الإسلام ٢/ ٥٢، العبر ٤/ ٨١، تاريخ الإسلام (٥٣٠ هـ.) ص ٦٢، تاريخ ابن الوردي ١٢/ ٣٠٧، الكواكب الدرية ١٠٦، تاريخ ابن سباط ١/ ٦٢، شذرات الذهب ٤/ ٩٤.

(٦) في الأوربية: «مسعود».

والخطبة للملك داود ابن أخيه السلطان محمود، جمع العساكر وسار إلى بغداد، فنزل بالمالكيّة[1]، فسار بعض العسكر حتى شارفوا عسكره وطاردوهم، وكان في الجماعة زين الدين عليّ أمير من أمراء أتابك زنكي، ثمّ عادوا، ووصل السلطان فنزل على بغداد وحصرها وجميع العساكر فيها.

وثار العيّارون ببغداد وسائر محالّها، وأفسدوا ونهبوا، وقتلوا حتى إنّه وصل صاحبٌ لأتابك زنكي ومعه كتبٌ، فخرجوا عليه وأخذوها منه وقتلوه، فحضر جماعة من أهل المحالّ عند الأتابك زنكي، وأشاروا عليه بنهب المحالّ الغربيّة، فليس فيها غير عيّار ومُفسد، فامتنع من ذلك، ثمّ أرسل بنهب الحريم الطاهريّ فأُخذ منه[2] من الأموال الشيء الكثير؛ وسبب ذلك أنّ العيّارين [كثروا] فيه وأخذوا أموال النّاس. ونهبت العساكر غير الحريم من المحالّ، وحصرهم السلطان نيّفاً وخمسين يوماً فلم يظفر بهم، فعاد إلى النهروان عازماً على العَود إلى هَمَذَان، فوصله طرنطاي صاحب واسط ومعه سفن كثيرة، فعاد إليها وعبر فيها إلى غربيّ دجلة، وأراد العسكر البغداديّ منعه، فسبقهم إلى العبور، واختلفت كلمتهم، فعاد الملك داود إلى بلاده في ذي القعدة وتفرّق الأمراء.

وكان عماد الدين زنكي بالجانب الغربي فعبر إليه الخليفة الراشد باللّه وسار معه إلى الموصل في نفر يسير من أصحابه، فلمّا سمع السلطان مسعود بمفارقة الخليفة وزنكي بغداد سار إليها، واستقرّ بها، ومنع أصحابه من الأذى والنهب. وكان وصوله منتصف ذي القعدة، فسكن النّاس واطمأنّوا بعد الخوف الشديد، وأمر فجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرض[3] عليهم اليمين التي حلف بها الراشد باللّه لمسعود وفيها بخطّ يده: إنّي متى جنّدتُ أو خرجتُ أو لقيتُ أحداً من أصحاب السلطان بالسيف، فقد خلعتُ نفسي من الأمر؛ فأفتوا بخروجه من الخلافة، وقيل غير ذلك (وسنذكره في خلافة المقتفي لأمر اللّه)[4].

وكان الوزير شرف الدين عليُّ بن طِراد وصاحب المخزن كمال الدين بن

---

(١) في الأوربية: «بالملكية».
(٢) في الأوربية: «منها».
(٣) في الأوربية: «وعرضوا».
(٤) من (أ).

البقشلاميّ وابنَ الأنباريّ قد حضروا مع السلطان لأنّهم كانوا عنده مُذ أسرهم مع المسترشد بالله، فقدحوا في الراشد ووافقهم على ذلك جميع أصحاب المناصب ببغداد، إلاّ اليسير، لأنّهم كانوا يخافونه، وكان قد قبض بعضهم وصادر بعضاً، واتّفقوا على ذمّه، فتقدّم السلطان بخلعه، وإقامة مَن يصلح للخلافة، فخُلع وقُطعت خطبته في بغداد في ذي القعدة وسائر البلاد. وكانت خلافته أحد عشر شهراً وأحد عشر يوماً[١]، وقتله الباطنيّة على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر خلافة المقتفي لأمر الله

لما قُطعت خطبة الراشد بالله استشار السلطانُ جماعةً من أعيان بغداد منهم الوزير عليُّ بن طِراد، وصاحب المخزن، وغيرهما، فيمَن يصلُح أن يلي الخلافة. فقال الوزير: أحد عُمومة الراشد، وهو رجل صالح. قال: مَن هو؟ قال: مَن لا أقدر أن أُفصح باسمه لئلاّ يُقتل، فتقدّم إليهم بعمل محضر في خلع الراشد، فعملوا محضراً ذكروا فيه ما ارتكبه من أخذ الأموال وأشياء تقدح في الإمامة ثمّ كتبوا فتوى: ما يقول العلماء فيمَن هذه صفته، هل يصلح للإمامة أم لا؟ فأفتوا أن مَن هذه صفته لا يصلح أن يكون إماماً. فلمّا فرغوا من ذلك أحضروا القاضي أبا طاهر ابن الكرخيّ، فشهدوا عنده بذلك، فحكم بفسقه وخلعه، وحكم بعده غيره، ولم يكن قاضي القضاة حاضراً ليحكم، فإنّه كان عند أتابك زنكي بالموصل.

ثمّ إنّ شرف الدين الوزير ذكر للسلطان أبا عبد الله الحسين، وقيل محمّد بن المستظهر بالله، ودينه، وعقله، وعفّته، ولين جانبه، فحضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبيُّ، وصاحب المخزن ابن البقشلاميّ وغيرهما، وأمر بإحضار الأمير أبي عبد الله بن المستظهر من المكان الذي يسكن فيه، فأُحضر وأُجلس في المثمنّة، ودخل السلطان إليه والوزير شرف الدين وتحالفا، وقرّر الوزير القواعد بينهما، وخرج السلطان من عنده وحض الأمراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء وبايعوا ثامن عشر ذي الحجّة، ولُقّب المقتفي لأمر الله.

---

(١) المنتظم ١٠/٥٩ (١٧/٣١٢)، التاريخ الباهر ٥١ ـ ٥٣، زبدة التواريخ ١٢/٣٠٦، الروضتين ١/٨٠، العبر ٤/٨٠،٨١، تاريخ الإسلام (٥٣٠ هـ.) ص٦٠، تاريخ ابن الوردي ٢/٤٠، عيون التواريخ ١٢/٣٠٦، تاريخ الخلفاء ٣٤٦، المختصر في أخبار البشر ٣/١١، تاريخ ابن سباط ١/٦٣.

قيل سبب اللّقب أنه رأى النبيّ، صلّى اللّه عليه وسلّم، قبل أن يلي الخلافة بستّة أيّام، وهو يقول له: إنّ هذا الأمر يصير إليك، فاقتفِ بي؛ فلُقّب بذلك. ولما استخلف سُيّرت الكتب الحكميّة بخلافته إلى سائر الأمصار واستوزر شرف الدين عليّ ابن طِراد الزينبيّ، فأُرسل إلى الموصل، وأحضر قاضي القضاة أبا القاسم عليّ بن الحسين الزينبيّ عمّ الوزير، وأعاده إلى منصبه، وقرّر كمال الدين حمزة بن طلحة على منصبه صاحب المخزن، وجرت الأمور على أحسن نظام.

وبلغني أنّ السلطان مسعوداً أرسل إلى الخليفة المقتفي لأمر اللّه في تقرير إقطاع يكون لخاصّته[1]، فكان جوابه: إنّ في الدار ثمانين بغلاً تنقل الماء من دجلة، فلينظر السلطان ما يحتاج إليه مَن يشرب هذا الماء ويقوم به؛ فتقرّرت القاعدة على أن يجعل له ما كان للمستظهر باللّه، فأجاب إلى ذلك.

وقال السلطان لما بلغه قوله: لقد جعلنا في الخلافة رجلاً عظيماً نسأل[2].

والمقتفي عمّ الراشد هو والمسترشد ابنا المستظهر، وليا الخلافة، وكذلك السفّاح والمنصور أخوان، وكذلك المهدي والرشيد أخوان، وكذلك الواثق والمتوكّل أخوان؛ وأمّا ثلاثة إخوة ولوا الخلافة فالأمين والمأمون والمعتصم أولاد الرشيد، والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد، والراضي والمتّقي والمطيع بنو المتقدر، وأمّا أربعة إخوة ولوها فالوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان لا يُعرف غيرهم[3].

وحين استقرّت الخلافة للمقتفي أرسل إليه الراشد باللّه رسولاً من الموصل مع رسول أتابك زنكي، فأمّا رسول الراشد فلم تُسمع رسالته، وأمّا رسول أتابك زنكي

---

(١) في الأوربية: «الخاصّه».

(٢) المنتظم ١٠/ ٦٠ ـ٦٢ (١٧/ ٣١٤،٣١٥)، التاريخ الباهر ٥٣،٥٤، زبدة التواريخ ٢١١، تاريخ دولة آل سلجوق ١٧٠٠، تاريخ الزمان ١٥٢، تاريخ مختصر الدول ٢٠٥، ٢٠٦، الفخري ٣٠٩، ٣١٠، مفرّج الكروب ١/ ٦٦ ـ ٧٠، العبر ٤/ ٨١، تاريخ الإسلام (٥٣٠ هـ.) ص٦٠، ٦١، الدّرة المضية ٥٢٢، الكواكب الدرية ١٠٥، تاريخ ابن سباط ١/ ٤٦.

(٣) المنتظم ١٠/ ٦٠ (١٧/ ٣١٣)، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١١، الكواكب الدرية ١٠٥، تاريخ ابن سباط ١/ ٦٤.

فكان كمال الدين محمّد بن عبد اللّه الشهرزوريّ، فأُحضر في الديوان وسُمعت رسالته، وحكى لي والدي عنه قال: لما حضرتُ الديوان قيل لي: تبايع أمير المؤمنين؟ فقلتُ: أمير المؤمنين عندنا في الموصل وله في أعناق الخلق بيعة متقدّمة. وطال الكلام وعُدتُ إلى منزلي.

فلمّا كان اللّيل جاءتْني امرأة عجوز سرّاً، واجتمعتْ بي وأبلغتني رسالة عن المقتفي لأمر اللّه مضمونها عتابي على ما قلتُه واستنزالي عنه. فقلتُ: غداً أخدم خدمة يظهر أثرها.

فلمّا كان [الغد] أُحضِرتُ الديوان وقيل لي في معنى البيعة، فقلتُ: أنا رجل فقيه قاضٍ[1]، ولا يجوز لي أن أبايع إلاّ بعد أن يثبت عندي خلع المتقدّم. فأحضروا الشهود وشهدوا عندي في الديوان بما أوجب خلعه، فقلتُ: هذا ثابت لا كلام فيه، ولكن لا بدّ لنا في هذه الدعوة من نصيب، لأنّ أمير المؤمنين قد حصل له خلافةُ اللّه في أرضه، والسلطان، فقد استراح ممّن كان يقصده، ونحن بأي شيء نعود؟ فرُفع الأمر إلى الخليفة، فأمر أن يعطى أتابك زنكي صريفين ودرب هرون وحربى مُلكاً، وهي من خاصّ الخليفة، ويزاد في ألقابه، وقال: هذه قاعدة لم يُسمح بها لأحد من زعماء الأطراف أن يكون لهم نصيبٌ في خاصّ الخليفة.

فبايعتُ وعدتُ مقضيّ الحوائج قد حصل لي جملة صالحة من المال والتُّحف. وكانت بيعة وخطب للمقتفي في الموصل في رجب سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، ولما عاد كمال الدين بن الشهرزوريّ سُيّر على يده المحضر الذي عُمل بخلع الراشد، فحكم به قاضي القضاة الزينبيُّ بالموصل، (وكان عند أتابك زنكي)[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عزل السلطان مسعود وزيرَه شرف الدين أنوشروان بن خالد وعاد إلى بغداد، وأقام بداره معزولاً، ووزر بعده كمال الدين أبو البركات ابن سلمة الدركزينيّ، وهو من خُراسان.

---

(١) في الأوربية: «قاضي».
(٢) من (أ).

وفيها ثار العيّارون ببغداد عند اجتماع العساكر بها، وقتلوا في البلد ونهبوا الأموال ظاهراً وكَثُر الشرّ، فقصد الشِحنة شارع دار الرقيق، وطلب العيّارين، فثار عليه أهل المحالّ الغربيّة، فقاتلهم، وأحرق الشارع، فاحترق فيه خلق كثير، ونقل النّاس أموالهم إلى الحريم الطاهريّ، فدخله الشِحنة، ونهب منه مالاً كثيراً[1].

ثمّ وقعت الفتنة ببغداد بين أهل باب الأزج وبين أهل المأمونيّة، وقُتل بينهم جماعة، ثمّ اصطلحوا.

وفيها سار قراسنقُر في عساكر كثيرة في طلب الملك داود ابن السلطان محمود، فأقام السلطان مسعود ببغداد، ولم يزل قراسنقر يطلب داود حتى أدركه عند مراغة، فالتقيا وتصافّا، واقتتل العسكران قتالاً عظيماً، فانهزم داود، وأقام قراسنقُر بأذربيجان، وأمّا داود فإنّه قصد خُوزستان فاجتمع عليه هناك عساكر كثيرة من التركمان وغيرهم، وبلغت عدّتهم نحو عشرة آلاف فارس، فقصد تُستَر وحاصرها، وكان عمّه (الملك)[2] سلجوقشاه ابن السلطان محمّد بواسط، فأرسل إلى أخيه السلطان مسعود يستنجده، فأمدّه بالعساكر، فسار إلى داود وهو يحاصر تُسْتر، فتصافّا، فانهزم سلجوقشاه[3].

[الوفيات]

وفيها توفّي محمّد بن حَمُّوَيَة[4] أبو عبد الله الجُوَيْنيُّ، وهو من مشايخ الصوفيّة المشهورين، وله كرامات كثيرة ورواية الحديث.

وتوفّي أيضاً محمّد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب العامريُّ[5] الصوفيُّ مصنّف «شرح الشهاب»، وأنشد لما حضره الموت:

---

(1) أنظر: المنتظم ١٠/٥٨ (١٧/٣١٠).

(2) من (أ).

(3) أنظر: تاريخ دولة آل سلجوق ١٧٠.

(4) في طبعة صادر ١١/٤٦ «حموية»، والتصحيح من: المنتظم ١٠/٦٣، ٦٤ رقم ٧٧ (١٧/٣١٧ رقم ٤٠١٦)، والبداية والنهاية ١٢/٢١١، وشذرات الذهب ٤/٩٥.

(5) أنظر عن (ابن حبيب العامري) في: تاريخ الإسلام (٥٣٠ هـ.) ص١٨٦، ١٨٧ رقم ١٥٧ وفيه مصادر ترجمته.

هـا قَـد مَـددتُ[1] يَـدي إليـكَ فـرُدّهـا بـالفَضْـلِ لا بشمـاتَـةِ الأعْـداء

وتوفّي أيضاً أبو عبد اللّه محمّد بن الفضل بن أحمد الفُرَاوي[2] الصاعديّ راوي «صحيح مُسلم» عن عبد الغافر الفارسيّ، وطريقه اليوم أعلى الطُّرق، وإليه الرحلة من الشرق والغرب، وكان فقيهاً مناظراً ظريفاً يخدم الغرباء بنفسه، وكان يقال: الفُرَاوي ألف راوٍ، رحمه اللّه ورضي عنه.

---

(١) في تاريخ الإسلام: «بسطت».

(٢) أنظر عن (الفُراوي) في: المنتظم ١٠/ ٦٥، ٦٦ رقم ٧٦ (١٧/ ٣١٨، ٣١٩ رقم ٤٠٢٠)، البداية والنهاية ١٢/ ٢١١، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٦٠، ١٦١.